روبينا علي

حلم فتاة الأزقّة

من متشرّدة في مومباي...
إلى نجمة في هوليوود

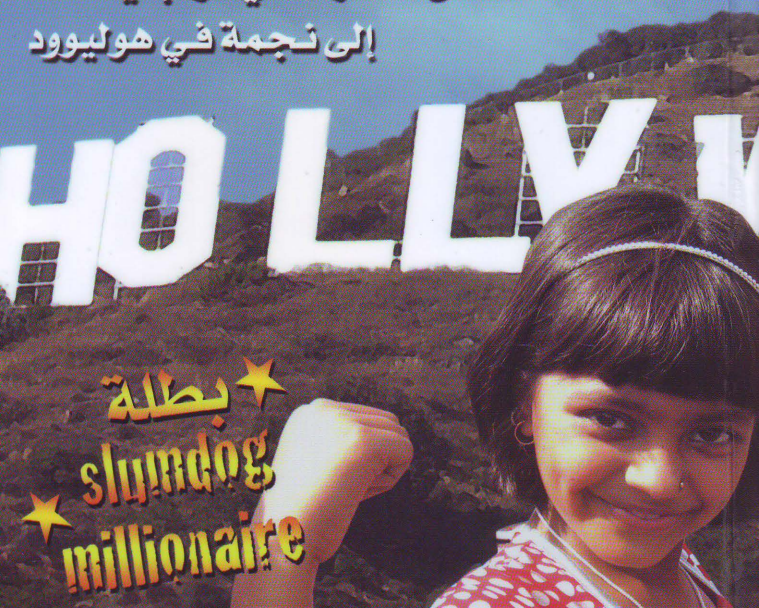

روبـيـنا عـلـي

حلم فتاة الأزقّـة

من متشرّدة في مومباي...
إلى نجمة في هوليوود

وُضع بالتعاون مع آن برتود
وبمساهمة من ديفيا دوغار

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

Copyright © All Prints Distributors Publishers
© جميع الحقوق محفوظة
لا يسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل، سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد
ص. ب. ٨٣٧٥ ـ بيروت لبنان
تلفون: ٣٥٠٧٢٢ ـ ٧٥٠٨٧٢ ـ ٣٤٤٢٣٦ ١ ٩٦١+
تلفون + فاكس: ٣٤١٩٠٧ ـ ٣٤٢٠٠٥ ـ ٣٥٣٠٠٠ ١ ٩٦١+
email: tradebooks@all-prints.com
website: www.all-prints.com

الطبعة الأولى ٢٠١٠
ISBN: 978-9953-88-311-3
Copyright © Oh! Editions, Paris, 2009. All rights reserved.

ترجمة: أنطوان باسيل

الإخراج الفني: فدوى قطيش
تصميم الغلاف: داني عوّاد
صورة الغلاف: ©Philippe Robinet

المحتويات

١ ابنة مدينة الأكواخ ١٥
٢ عمري تسع سنوات وأريد أن أصبح ممثّلة ٣٧
٣ صمتاً، إننا نصوّر! ٥٩
٤ سأتعلّم الإنكليزية ٧٩
٥ بوليوود ٩٧
٦ أجمل يوم في حياتي ١١١
٧ أميركا! ١٣٣
٨ فتاة الأوسكار ١٤١
٩ حياتي الجديدة ١٥١
١٠ للبيع ١٦٩
١١ أكره الجرذان ١٨١
١٢ جاي هو! (تهليلة!) ١٩٣

- رو_ بي _ نا! أز_هار! آ_يوش!

لم أفهم تماماً ما يحصل سوى أنني سمعت صراخاً من بعيد، وشعرت بالضياع التام وأنا لا أزال شبه نائمة بعد عشرين ساعة طيران، وفي وسط جلبة مطار مومباي وضجيجه. بيد أني أخذت أسمع الصراخ بوضوح أكبر. هذا مؤكّد: إنها أسماؤنا يُنادى عليها. والأصوات تأتي من الخارج. وشرع رفاقي من حولي، آيوش، أزهار، تاناي، أشوتوش، وتانفي وغيرهم من ممثلي فيلم «فتى الأزقة المليونير» Slumdog Millionaire الصغار يتساءلون أيضاً عمّا يُحْبَك.

وصلْنا للتو من لوس أنجلس، حيث تسلّمنا جوائز الأوسكار. وأعود يوم الخميس، في السادس والعشرين من شباط/فبراير، أعود إلى مومباي بعد سفرتي الأولى إلى أميركا. أنا سعيدة جدّا لرؤية عائلتي من جديد، خصوصاً وإنني ابتعدتُ عنها لفترة طويلة. سبق أن ظننت أننا سنلقى استقبال المشاهير، إلا ان الأمر يبدو هنا حقيقياً جداً! تبادلنا، أزهار وأنا، النظرات، والبريق يملأ أعيننا. وأنا أعرف أنه متحمّس بالقدر

الذي أنا فيه. وآيوش هو الآخر أخذ يقفز في كل مكان. وفي لحظة تلاشى كل شعور لدي بالتعب، واجتاحتني رغبة في التحدّث إلى الجميع! وها نحن قد استلمنا حقائبنا، ونتلهّف للخروج...

- روبيييينا! أزهاااااار!

- آيووووش! تاناااااي!

الناس في الخارج يهتفون بأسمائنا، بقوّة أكبر فأكبر. واستعجلنا، أزهار وأنا، رؤيتهم. غير أن هذا الصراخ ورجال الشرطة هؤلاء أصابوني ببعض الرهبة؛ فيما بدا عناصر الإنتاج منشغلين في تنظيم الأمور مع جهاز أمن المطار. وقد اقترب بعض رجال الشرطة منّا:

- لا تخرجوا، هذا جنون، لن تتمكنوا أبداً من العبور.

وسألهم الأكبر سنّاً بيننا: «وماذا نفعل إذاً؟»

- انتظروا بعض الشيء، سنؤمّن لكم ممراً ونقيم حواجز لحمايتكم من الحشود، فتتمكنوا عندها من المرور.

بدت الشرطة متفاجئة مثلنا لرؤية هذا العدد من الناس. وانحنى شرطي صوبي وهمس في أذني:

- هذا لا يُصدّق يا روبينا، لم يسبق لي أن شاهدت مثل هذا الاستقبال حتى لأكبر النجوم ورجال السياسة.

لكن، كم عددهم في الخارج؟ لا بد أن والدي وعائلتي

كلّها بينهم. لم يتمكن والدي من مرافقتي إلى أميركا، لكنني أعرف أنه جاء للقائي ونقلي إلى المنزل. اشتقت للقاء جدتي، وشقيقتي الكبرى، وشقيقي الصغير، وجميع من أحبّ. وبخاصة والدي، لأنه أكثر الذين افتقدتهم...

ها قد جاء من يقول لنا أن في وسعنا المضي. عبر نحو عشرة رجال شرطة أوّلاً، ورشاشاتهم إلى صدورهم. وتبعناهم، آيوش وأنا. اسودّ المنظر خارج الواجهة الزجاجية لكثرة ما تجمع من الناس. واضطررت إلى قرص نفسي للتأكّد من أنني لا أحلم ولأقول لنفسي إن جميع هؤلاء الناس جاؤوا إلى هنا من أجلي، أنا روبينا علي.

واو! يوجد المئات والمئات من الأشخاص! يتدافعون، ويتكدّسون على بعضهم البعض ليتمكنوا من إلقاء نظرة عليّ. بل إنني شاهدت بينهم من تسلّقوا الحواجز حتى لا يفوتهم شيء من المنظر. والمنظر هو نحن! وقد لاقى جهاز الأمن صعوبة في التعامل مع كل هؤلاء الناس الذين يريدون الانقضاض علينا. ومعظمهم من الصحافيين المسلحين بكاميرات ضخمة وميكروفونات طويلة كالذراع.

- أزهاااار! روبيينا!

شاهدت، في اللحظة التي خرجنا فيها من المطار، ومضات آلات التصوير، والحشود التي استولى عليها الاضطراب، وأناساً، من كل صوب، يحاولون التحدّث معي. التصقنا، آيوش

وأنا، بِتاناي، الممثل الذي لعب دور البطل المراهق، لأننا لم نعد نعرف أين ننظر، وإلى من نبتسم، وكيف نتصرّف حيال هذا الضغط كلّه. لكن تاناي لا ينظر إلا إلى جدّته التي ترفع لافتة هائلة من فوق الحشود كُتب عليها بأحرف ضخمة: «أهلاً بك يا تاناي».

- من هنا! ابتسامة صغيرة!

- كيف كانت أميركا، يا روبينا؟ من التقيت فيها؟

- ثانية واحدة فقط، يا روبينا...

جميع هؤلاء الناس يهتفون لنا كالأبطال، أمر لا يُصدّق! فجوائز الأوسكار، بالمقارنة، مُملّة بعض الشيء. شعرت بأنني أعيش في حلم: فلطالما أردتُ أن أصبح ممثلة في بوليوود، ويبدو هذا الحلم حقيقياً وأنا بالكاد بلغت التاسعة. احتضنتُ بيدٍ الدمية الموبّرة التي جلبتها من لوس انجلس، ووزعت بالأخرى، إلى هذا وذاك، تلويحات صغيرة كما لو أنني النسخة الأنثوية لشاه روخ خان![1] وتسلّى أزهار أيضاً كالمجنون: يمزح، ويطلق هتافات الفرح المستثارة، ويبدو مرتاحاً جداً لكونه أصبح واسع الشهرة. أمكننا التقدّم نحو السيارة، بفضل الحبال الممدودة على طول الرصيف، غير أن الشرطة أخذت تواجه المزيد من الصعوبة في دفع الحشود. وأخذت أبحث بعيني في شدّة عن «أبا» (هكذا أسمّي والدي). رفعت نفسي على رؤوس أصابعي وأنا آمل رؤية

[1] جورج كلوني الهند.

وجه معروف في هذه الكتلة من الناس، ولكن لا شيء، لا أعرف أين هو أبا.

تمكّن بعض المعجبين من تعليق بعض أكاليل الأزهار حول أعناقنا، فيما أخذ الصحافيون يحرّكون، من كل مكان، الميكروفونات أمام وجوهنا. لم يزعجني الأمر، بل على العكس تخيّلت أنني نجمة! وما إن شارفنا على بلوغ السيارات الكبيرة الجميلة السوداء التي استأجرها المنتج لإعادتنا إلى منازلنا، حتى كسرت الجموع الطوق الأمني، وحلّ الذعر فجأة. الصياح من كل مكان والكلمات تضيع في الضجيج الكبير.

رُفع أزهار في الهواء، ولوهلة لم أعد أراه. وفجأة سمعت أبا يصيح:

- روبينا، ميري جان! (يا عزيزتي!)

ووجدت نفسي مشدودة إلى أحضان أبي: فما أن رآني أبا حتى رمى بنفسه في المعمعة، وهو يدفع مَن حوله بمرفقيه ليشقّ طريقه إليّ. حتى أنه ذهب لرؤية الشرطة ويقول لهم أنه والدي، لكن الشرطة رفضت، وسط كل هذه الجلبة، تصديقه وردّته على أعقابه:

- هان، آج تو ساب روبينا كي هونا شاهيغا. (طبعاً، هذا هو الأمر... يريد الجميع اليوم أن يكون أباً لروبينا).

احتضنني بين ذراعيه على ارتفاع أكثر من متر عن الأرض، فأشرفت على الحشد الهائج واستعدت ابتسامتي سريعاً. فمن

الأفضل كثيراً الشعور بالشهرة الآن وأنا في حماية أبي. حملني وبلغنا السيّارة برفقة عمّي. فتح أحدهم الباب وجلسنا ثلاثتنا في المقعد الخلفي من السيّارة المكيفة. وسمعت، بالرغم من النوافذ المغلقة، أن هناك من لا يزال يناديني من الخارج. يا لسعادتي بأني أصبحت ما أنا عليه من النجومية!

وانتظرتني مفاجأة في الداخل: مونّي زوجة أبي، وديلشاد زوجة عمّي، وشقيقة جدتي! قفزت عليهما وقبّلتهما وأنا متأثرة للقياهما. وقرأت في أعينهما أنهما فخورتان بي، حتى ولو لم تقولا شيئاً، وقد أدفأ ذلك قلبي. نظرت مونّي بإعجاب إلى فستاني الزهري الجديد، وتلمّست قماشه: إنه لباس جديد اشتروه في لوس أنجلس. وتناسقت صدريتي مع اللون الأزرق البحري لسروالي الضيّق، بحيث أن ذلك اللباس الجديد يضفي عليّ حقّاً مظهر الأميركية... وأنا على عجلة كبرى من أمري لأخبرهم عن سفرتي! صعد أزهار في المرسيدس الأخرى مع والدته. وكانت أيدٍ وأوجه لا تزال ملتصقة بالنوافذ السوداء لدى انطلاقنا. وركض الصحافيون وراءنا إلى أن بلغنا الطريق. ابتعد الصراخ، وأخذ رأسي يطنّ بسبب كل تلك الجلبة، إلا أنني سعدت جداً لوجود هذا العدد الكبير من المعجبين الذين يتبعونني. وها أنا الآن أستفيد من هدوء السيارة والبرودة الناتجة عن مكيّفها لأستريح. لكن ذلك لن يطول. فقد حذّرني أبا:

- سترين أن الجميع ينتظرونك في المنزل، وأن الصحافيين موجودون في كل مكان!

لا تزال سيارة الشرطة، في الوقت الحاضر، وراءنا لمواكبتنا. لكنها ستغادر ما إن نصل إلى بندرا، مدينة الأكواخ التي أعيش فيها، وأعود أنا إلى حياتي السابقة. أحسست بالكثير من الغرابة لفكرة العودة إلى النوم في تخشيبتنا، فقد كنت، منذ بضعة أيام وحسب، أتسابق مع أزهار في غرفة الفندق التي تزيد مساحتها بعشر مرّات عن مساحة منزلنا. لم أكن أعرف حتى بوجود غرف على هذا القدر من الاتساع!

وأنا، بعد كل ما شاهدته من جمال يفوق التصوّر، وبعدما تم تدليلي وكأنني أميرة صغيرة، لست سعيدة جداً بالعودة إلى الأزقة المتسخة لمدينة الأكواخ. غير أنني، في الوقت نفسه، لا أطيق صبراً على لقاء أصدقائي وإخبارهم عن جميع النجوم الذين التقيتهم على السجادة الحمراء! وأتخيّل أن أزهار يفكّر مثلي: فهو وأنا نقيم في المكان نفسه، وليس علي سوى عبور الشارع للدخول إلى منزله. ونحن في النهاية نشبه كثيراً شخصيات الفيلم: أولاد حي فقير لكن رؤوسنا تطال النجوم.

١

ابنة مدينة الأكواخ

أُدعى روبينا علي. لا أعرف يوم مولدي، ولا يعرفه والدي أيضاً، لكنني أعرف أن عمري تسع سنوات وأني وُلدت في مستشفى بابا في بندرا. ولطالما أقمت في مدينة الأكواخ في بندرا الشرقية: الـ (Slun) (مدينة الأكواخ) كما يدعونها هنا. مدينة الأكواخ كما في فيلم «فتى الأزقة المليونير» Slumdog Millionaire برائحة البول، والزعفران، تضاف إليها رائحة القلي.

الحي الذي أقيم فيه يُدعى «غريب نغار»، ومعناه الحرفي «مدينة الفقراء». أعرف كل أركانه وزواياه وحتى مخابئه. لا يبدو كبيراً جداً، ويتسع مع ذلك لعشرة آلاف من السكان في الكيلومتر المربع الواحد. وبناء منزل في مدينة الأكواخ أشبه بتركيب لغز يتم فيه تجميع كل أنواع الخردة، والصفائح الحديدية، والألواح الخشبية، والأغطية البلاستيكية، ومحاولة بنائها معاً بأمتن وسيلة ممكنة. ويتم استخدام كل سنتيمتر مربع

متوفّر في المساحات المتاحة. وليست الأرض التي بني عليها منزلنا ملكاً لأبا أو لعمّي، بل هي أرض للحكومة. ولا يمنع هذا أن عدداً كبيراً من الناس يقيمون عليها منذ فترة طويلة. هذا هو العالم الذي أعيش فيه، وهو أحياناً على قدر كبير من القساوة، وأبعد ما يكون عن حياة النجمة.

يحاذي الشارع الرئيسي في مدينة الأكواخ خط السكة الحديد، وهو مقرّ كل النشاطات ويعجّ دائما بالناس. نلعب، نحن الأولاد، في جمع النفايات والحاجات الوسخة المرمية على السكة؛ أما البالغون فيتجمعون هناك للنقاش. ويشهد المكان نفسه إحياء الأعياد والمناسبات الكبرى للجماعة. وتوجد في هذا الشارع أيضاً طائفة كبيرة من التجارات المختلفة: الحلاّقون، وبسطات الشاي، والبقالة، وما يشبه القمرة حيث تمكن التسلية بألعاب الفيديو، ولكن أيضاً الكثير من المنصات المحاذية تماماً للسكة حيث باعة الفاكهة، والخضار، واللحوم المغطاة بالذباب ولكن اللذيذة جداً بعد طهوها، وغير ذلك من الوجبات السريعة. وهناك أيضاً من يفترشون الأرض وقد وضعوا البيض أو التوابل على أحد الأغطية. وهو، باختصار، مكان يعجّ دوماً بالحركة وأقضي فيه الكثير من الوقت مع رفاقي. ويطلّ شمالاً على أرض بور تُرمى فيها النفايات، وشرقاً على المحطة التي تبلغها قطارات ضواحي مومباي كلّها.

نتسلى أنا ورفاقي، والأولاد الذين يتسكّعون هناك، بلعبة المطاردة وغير ذلك من الألعاب وسط الماعز والدجاج وجميع

الذين لا يعملون ويمضون نهارهم في الشمس. ويحصل، وهذا نادر جدّا، أن يمرّ قطار على السكة، وعندها تعمّ حركة مذعورة من رفع البسطات، والغسيل المنشور، ويُضطر الجميع إلى مغادرة السكة بأسرع ما يمكن وبخاصة الكبار في السن الذين ينامون على الأرض. وقد شهدتُ وقوع حوادث... أما الجزء الواقع وراء مدينة الأكواخ فهو في الحقيقة أكثرها سوءاً، لأن مياه المراحيض تصل إلى هناك وتشكّل جدولاً صغيراً مليئاً بالبراز والقاذورات. وقد وُضِعَ فيه القرميد والألواح الخشبية ليتمكن المارة من الناس من عبوره وإبقاء أرجلهم جافة. وعلى مقربة مباشرة من المكان توجد كومة من الوحل، بارتفاع عدّة أمتار، مليئة بالقاذورات والبراز.

ما إن نغادر الشارع الرئيسي ونتوغّل في الشوارع الضيقة حتى نعلق في متاهة من البيوت أسطحها من الصفائح المعدنية، ويصبح كل شيء معتماً ورطباً. يحتل المجرور، بمياهه السوداء الملأى بالحشرات، وسط الممر ذي البلاطات الرخوة، الذي ينتشر فيه روث الحيوانات في كل مكان، بحيث أن على المرء، باختصار، أن ينتبه أين يضع قدمه. أما أنا فقد اعتدت على الأمر. ولكن حتى مع العادة يبقى الحذر ضرورياً. سبق لي أن شاهدت أولاداً يسقطون في مياه المجرور، وهو ما سلاّني كثيراً!

يترك معظم الناس أبوابهم مفتوحة، ويمكن عندها مشاهدة سبعة أشخاص أو ثمانية في غرفة وحيدة من دون نافذة. وفيها يأكلون، وينامون، ويستحمّون. وهذا ما هي عليه الحال أيضاً

في مدينة الأكواخ، فهي تعج في الشارع، وفي البيوت، وفي كل مكان. وما من حياة خاصة، لأن الجميع يعيشون فوق بعضهم البعض. وحتى الجرذان، والصراصير، والبعوض موجودة بقوة في كل المساكن.

اعتقدت، وأنا أصغر سنّاً بكثير، أن مومباي ليست سوى مجموعة من مدن الصفائح التي تعج بالأكواخ بأراضيها البور، ومجاريرها، ومياهها الآسنة، ومساكنها المتداعية. وفهمت أخيراً، من فرط ما شاهدت من المسلسلات والأفلام على تلفازنا الأبيض والأسود القديم، أنه توجد حياة خارج مدينة أكواخنا. وهكذا بدأت أحلم بعالم آخر، وبحياة أخرى. وأنا، حتى السنة الماضية، لم أخرج من بندرا إلا مرتين: إحداهما في زيارة حج إلى أجمر شريف، في راجستان، في مدينة الأكواخ التي أتت منها زوجة أبي مونّي، وهي أبعد ما تكون عن الروعة لأن مدينة أكواخها كانت أيضاً أسوأ من مدينتنا. وهكذا تمثّلت الطريقة الوحيدة للهروب من عالمي في مشاهدة المنازل الرائعة على التلفاز، والحدائق الكبيرة، والثياب الجميلة. ويتركني ذلك في كل مرة معجبة وحالمة: «وُه كيا سوندر دونيا هاي! (يا له من عالم رائع!)»

يُدعى أبا، والدي، رفيق قُرشي علي. وهو طويل القامة، ذو شاربين أسودين وشعر مقصّب يصبغه بالحنّة لتغطية ما فيه من شيب ولكي لا يشعر بالكثير من الحر صيفاً. يضع الكثير من الناس الحنّة على رأسهم، وشعرهم، وأيديهم، لأن هذه النبتة

مرطّبة جداً. ووالدي رجل بسيط، لا يشرب الكحول ولا يدخّن، بعكس معظم الرجال. ويقول لي الكثيرون أنني أشبه والدي كثيراً. أشعر، عندما أتطلع في المرآة، أن لي عينيه، بالكبر نفسه والاستدارة والتعبير. وهو يمثّل كل شيء بالنسبة إلي: إنه أبي وأمي معاً. وقد وُلد هو الآخر أيضاً في مومباي، منذ ستة وثلاثين عاماً، في مدينة الأكواخ دارافي، وهي أكبر مدينة أكواخ في مومباي، أكبر بكثير من مدينة أكواخنا. وهناك أمضى أولى سنوات حياته. وبحسب ما أخبرني، كان الوضع قاسياً وهو صغير لأنه أُسيئت معاملته بسبب الطبقة التي ينتمي إليها. وذهب بعد ذلك للإقامة مع أهله وشقيقيه الكبيرين في كيرالا، في جنوب الهند، لأن عائلته تتحدّر من هناك. وكسب جدّي المال من لعب دور الوسيط بين الإدارة وبين الناس الذين يطلبون جوازات سفر. فيتكفّل بتسريع الإجراءات وتدبّر جمع الوثائق الناقصة. لم أعرفه لأنه مات منذ ثلاثين عاماً. وسرعان ما تزوّجت جدتي من جديد فعادوا إلى مومباي إلى مدينة الأكواخ في بندرا الشرقية، ليقيموا بين أربعة جدران من صفائح الحديد من دون ماء ولا كهرباء.

أعتقد بأنهم كانوا أكثر فقراً منّا، وبأن والدي لم يأكل دائماً حتى الشبع. وارتاد مثلي المدرسة في مؤسسة تعلّم لغة الأردو في دارافي. وباح لي يوماً بأحد الأسرار: فقد كان يكره الدراسة ويغيب بشكل منتظم عن الحصص ليذهب للتسكع مع رفاقه. ولم يهتم لا بالحساب ولا بلغة الأردو، وذهنه كان دائم الشرود حتى وهو في الصف.

وبنتيجة ذلك بدأ في العمل باكراً جداً لمساعدة زوج والدته في إطعام العائلة. كان محي الدين، شقيق والدي البكر، أوّل من بدأ في كسب المال، فقد خطرت له فكرة فتح دار للسينما في مدينة الأكواخ، فاستأجر آلة عرض ونظّم حفلات مدفوعة للجيران. وجرّ غلام، الشقيق الثاني، ورفيق، والدي، العربات منذ عمر الثانية عشرة. وكسبا بذلك بعض الروبيات لقاء نقلهما القرميد والرمل. ثم شرع والدي في تعلّم صنعة النجارة عند أختار باتان لمساعدته في بناء أكواخ المدينة وفي إصلاح الكراسي والطاولات. وهو يعترف دوماً بجميل هذا السيّد الكبير عليه لأنه علّمه كل شيء عن مهنته.

أخبرني والدي باكراً جداً عن زواجه بأمي خورشيد. كان في الثامنة عشرة وهي في السابعة عشرة. وهما جاران، وكلاهما مسلم، وقد تدبّر والد خورشيد زواجهما. وتم تنظيم حفل كبير في الشارع الرئيسي بحضور عدد كبير من الناس والكثير من أفراد عائلتنا ممن يقيمون في أمكنة بعيدة. ولا يشبه ذلك بالطبع الزيجات في الأفلام، إذ اكتفوا بنصب خيمة على أرض بور، وشكّل الأمر مع ذلك مهرجاناً، نسبة إلى ما نعرفه في مدينة أكواخنا!

رُزقا بعد عشرة أشهر بطفلة صغيرة ماتت في اليوم التالي لولادتها. وشعر والدي، الذي يعشق الأولاد، بحزن حقيقي شديد. ووُلدت شقيقتي، سنا، بعد ذلك بثلاثة أعوام في مستشفى بابا، ووُلدت أنا بعدها بأربعة أعوام. وأبا هو الذي

اختار اسمي. وتجري الأمور دوماً على النحو التالي: يقام بعد أربعة أيام على الولادة احتفال يجتمع فيه الأقارب ويقترح كلّ منهم اسماً، على أن يعود لربّ العائلة أن يقرّر. لم يستمع أبا حتى إلى أصدقائه أو عائلته: فهو، وفي قرارة نفسه، يعرف منذ البداية أنه سيسمّيني روبينا.

أكملت عامي الأول لما أبصر شقيقي عبّاس النور. وأنا لا أتذكّر ذلك لأنني كنت طفلة. وفي السنة التالية رحلت والدتي مع رجل آخر. ولم يشكّل الأمر، بحسب والدي، خسارة كبرى. يبدو أن خورشيد لم تعتنِ بنا وهدّدت دوماً بهجر زوجها من أجل آخر. كانا يتشاجران كثيراً، وفي أحد الأيام قال لها أبا:

- حسنا، ارحلي!

سمعتُ الكثير من الأقاويل عن أنه كان لأمي عشّاق. وهي الآن متزوجة من رجل من طبقة أخرى غير طبقتنا وتقيم في مدينة أكواخ بانفل.

قال أبي إن خورشيد أرادت رؤيتنا لكنه منعها من ذلك لأنها ليست أمّاً صالحة وإلا لما تخلّتْ عنّا كما فعلت. ولهذا لا أملك أي ذكريات عنها. وجاءت مع ذلك مرّات عدة لرؤيتنا إلا أن والدي كان يطردها في كل مرّة.

- لم تهتمي قط بأولادك، ولا تستحقين رؤيتهم. ارحلي!

وشاهدتها بالرغم من ذلك في الجوار تحادثُ رجالاً آخرين

وتمزح معهم، وأنا أعرف معرفة اليقين أنها لا تتمتع بأخلاق حميدة.

باعت أمي المنزل عندما انفصلت عن أبي، فأقمنا عند دادي، جدتي لأبي. وهي تقيم في الطابق الثاني في غرفة أكبر بكثير من غرفتنا السابقة. والشيء الحسن في كوننا في مكان مرتفع هو أننا لسنا عرضة لأن تغمرنا المياه، وهو أمر يحصل في الغالب في فترة الرياح الموسمية، حيث يفيض المجرور وتجتاح المياه الآسنة الطوابق الأرضية برائحتها المريعة جداً؛ أنه لأمر مقزّز حقّاً، حتى ولو اعتدنا عليه. منذ ثلاثة أعوام، ارتفع منسوب المياه، عند عمّي وزوجة عمّي، ليصل إلى متر ونصف المتر. وقد حصلت طوفانات ضخمة في مومباي إذ أخذت تمطر ليلاً ونهاراً من دون توقّف. وبقي الجميع في منازلهم أملاً في أن يتوقّف المطر وينخفض مستوى المياه إلى ما دون الكاحلين. تلفت كل موجودات منزل عمي وزوجة عمّي بما في ذلك السرير والفرش وحتى الثلاجة. امتلأت المياه بكل أنواع القاذورات وبلغ الأمر درجة كبرى من الاتساخ اضطرّا معها إلى رمي كل الأغراض الرطبة. وبقيت من ثم على الجدران، بعد تراجع المياه، آثار سوداوية مُقزّزة، مما اضطرهما إلى حفّها مراراً وتكراراً.

وبخلاف ذلك، بُنِيَ منزل جدتي، مثل كل المنازل الأخرى بكثير من المواد المختلفة. وقد علّقت في الغرفة الرئيسية قطعة ثياب قديمة تحدد المنطقة المائية حيث نستحم ونغسل الأواني، على الأرض، في الوعاء نفسه. وتطبخ دادي على صفيحة من

الخشب تمّت موازنتها على بعض صناديق الكرتون. وتكوّمت الأكواب والصحون المعدنية على رفوف معلّقة على الجدار، فيما تُوضّب ملابسنا كلها في خزانة واحدة ضخمة. وفي الليل، نضع بُسُطاً من القماش أرضاً ونلتصق بعضنا ببعض. أخذنا ننام ستة في الغرفة الواحدة: أنا، وشقيقتي سنا، وشقيقي عبّاس، ووالدي، ودادي، وعمّي غلام العازب منذ تخلّت عنه زوجته وأولاده بسبب إدمانه على الكحول. وفجأة انضم إلينا عمّي الآخر، محي الدين، الذي كان يسكن على بعد عدّة شوارع منّا، ومعه زوجته ديلشاد، وابنتهما روخسار، وكان عمرها حينذاك إحدى عشرة سنة، وابن عمّي محسن وعمره سبع سنوات.

أخذ والدي يعتني بنا منذ غياب والدتي، لكن عمله لم يترك له الكثير من الوقت لذلك. فأخذت دادي وسنا تقومان بغسلنا، وبتغيير حفاضاتنا، وتحضير رضّاعاتنا، فشقيقي وأنا أصغر من أن نهتم وحدنا بأنفسنا. وأخذت جدتي تستيقظ في الصباح الباكر لتذهب وتجلب الماء لليوم كلّه. ومن حسن حظّها وجود صنبور مياه تحت منزلها مباشرة، تستخدمه مع الجيران الآخرين. فالحصول على الماء في مدينة الأكواخ عملية كثيرة التعقيد. إذ لا وصول إليها إلا بين الخامسة والعاشرة صباحاً. ويجب على المرء بالتالي أن يستيقظ باكراً للوقوف بالصف وملء المستوعبات بما يكفي لليوم التالي. وبعد مشقة الماء، تحضّر لنا دادي الفطور، المؤلف في الغالب من الماسكا باف، وهو الخبز بالحليب وهو سكاكري المفضّلة، أو من البيض المخفوق مع

الطماطم وقرون الفلفل الصغيرة، وهذا طعام لذيذ! كنّا نستيقظ في السابعة، نفرك أسناننا ونتناول الشاي معاً - وهو شاي مع الحليب المحلّى والتوابل الطيبة الرائحة - ثم يمضي والدي إلى العمل في التاسعة. ويتوجه بعدّته إلى الساحة العامة في انتظار أن يأتي الزبائن في طلبه. ويذهب عمّي غلام إلى دكان الشاي الصغير خاصته على بعد بضعة شوارع منّا. أما شقيقتي سنا وأنا فنذهب، كلّما أمكننا ذلك، للعب في الشارع مع الرفاق.

قرّر والدي في أحد الأيام إرسالنا إلى المدرسة. كان عمري أربع سنوات؛ وسنا تكاد تبلغ الثامنة. لا يذهب الكثيرون من رفاقنا إلى المدرسة، لكن أبا أصرّ على أن نتعلم كتابة وقراءة الأردو، لغة القرآن. فسجّلنا في مدرسة الأردو التابعة للبلدية، وأخذنا نتوجه إليها سيراً في كل صباح، وتستمر الصفوف من السابعة صباحاً حتى الواحدة بعد الظهر. وجدت في البداية تسلية في الاستماع إلى المعلّمة، لكنني سرعان ما سئمت الأمر. ووجدت، على غرار والدي وهو ولد، صعوبة في التركيز، ولم تتملّكني سوى رغبة واحدة: أن أذهب وأتسلّى. وما إن يشرع والدي في تأنيبي حتى أجيبه:

- ماين آبّ بار هو موجهي سكول أكشا ناهي لاغتا. (أنا مثلك، لا أحب المدرسة).

وفي كلّ مرّة يصيبه ذلك بالغضب الجارف!

أخذت، كلما أتيحت لي الفرصة، أهرب من المدرسة

للانضمام إلى رفاقي في شوارع مدينة الأكواخ، وأحياناً لا أنتظر حتى نهاية الدروس لمغادرة المدرسة. وما إن أعود لتناول الغداء وثيابي ملطّخة بالوحول حتى تدرك جدتي فوراً من أين أنا آتية... فالفستان الأزرق البحري ذو الحمّالات، والقميص والجوارب البيضاء، ليست بالملابس المثالية للعب وسط الوسخ والغبار وصناديق القمامة!

امتلكت لفترة كبيرة شعراً طويلاً جداً يصل إلى خصري، إلى أن قررت جدتي أن تقصّه لي بسبب الحرّ الشديد الدائم ولأنه يبقى دوماً متسخاً. أصابني ذلك بالحزن الشديد، وشعرت بالغرابة من دون شعري الطويل الجميل.

- أتعتقدين أن ذهابك للتعارك في الوحل هي طريقة تصرّف؟ ومن سيغسل ذلك كلّه الآن؟

تغضب جدّتي كثيراً عندما أتعارك مع جيراننا. ويجب القول أن جميع الناس، في مدينة الأكواخ، يمضون حياتهم في إخبار وتناقل الأقاويل عن الجميع. إنني أتضايق من ذهاب الناس لإخبار كل شيء لجدتي، ولذا لا أنزعج في أن أقول للجيران ما أفكّر فيه: فليهتموا بشؤونهم الخاصة!

وغالبا ما تثير حماقاتي غضبَ دادي، لكنها لا تصيح كثيراً. وهي، بالرغم من محاولتها أن تبدو بمظهر القاسية، تدللني كثيراً. وعندما أطلب منها أن تحضّر أطباقي المفضّلة مثل، فرّوج بيرياني (أعشق الفروج خصوصاً إذا حُضّر بهذه

الطريقة مع الأرز والتوابل)، أو الأرز بالكاري واللبن على سبيل المثال، ينتهي بها الأمر دوماً بالرضوخ.

لكنها لا تنسى في المقابل أبداً أن تشتكي لأبا كلّما عاد من العمل. وهو يصبح غاضباً جداً عندما يوبّخني! إذ لا يطيق أن أوسخ نفسي أو أتأخّر عن المدرسة. بل إنه منعني من اللعب بالكانشا، وهي لعبة بالكلل، ومن ألعابي المفضلة كما هي مفضّلة أيضا لدى معظم رفاقي. ثم إنني قويّة جداً وأكسب فيها في معظم الأحيان. يوجد القليل جداً من الأراضي المسطحة في بندرا، غير أننا وجدنا أرضاً في طرف الشارع الرئيسي، في زاوية خالية من النفايات، حيث يمكننا خوض المباريات. وتوجد دوماً في ذلك المكان مجموعات تلعب الكانشا وأخرى تنتظر دورها. تقتضي اللعبة التصويب بكلّتنا على أخرى على ان نستخدم إصبعنا الوسطى لرميها. وتقع المشكلة في أن الوضعية الأمثل تتطلب منّا أن نركع على الأربعة. ويعني هذا استحالة أن يبقى الواحد منّا نظيفاً.

وتتمتع الكانشا بأهمية نفسها وهي لعبة شعبية جداً في مدينة الأكواخ. لكن الكلل تبقى هي اللعبة السائدة فيها. ويمتلك جميع الأولاد الكثير منها، الكبيرة والصغيرة، ومن كل الألوان، بل وأحياناً البرّاقة منها. وتشكّل عملية التبادل واحدة من أفضل انشغالاتنا.

- ما الذي عرفته، يا روبينا؟ هل تركتِ المدرسة أيضاً؟ رأيتك تلعبين بالكلل وراء سكة الحديد...

- لكنني أعشق اللعب. . .

- باس باهوت هو غايا! (يكفي الآن!)

- أبا، أبا. . .

- لديك الوقت للعب بعد الدراسة، وليس ذلك سبباً لتوسيخ ملابسك. وعن جدّتك ما يكفي من العمل غير إصلاح حماقاتك. كم مرّة يجب أن أقول لك أن تكفّي عن الشقلبة على الأرض؟ هذا وسخ، وستصابين بالمرض في النهاية!

- تيك هاي آجي سي أيسا ناهين هوغا. (لن يتكرر ذلك، هذا وعد يا أبا).

يصيبني والدي بالحزن عندما يرفع صوته فيّ، فأذهب وأحرد في زاويتي إلى أن يأتي ويصالحني. فيدغدغ بطني، ويرميني في الهواء من على قدميه، وينتهي كلّ شيء. وهو يوبّخ بقوة شديدة، لكن غضبه لا يستمر طويلاً. صفعني مرّة واحدة فقط لما رآني عائدة والوحل يغطي رجليّ: فقد خرجت من دون أن أرتدي الشابال، وهما الصندلان اللذان أضعهما في رجليّ. فلا أحد يجرؤ على السير حافي القدمين في مدينة الأكواخ، لأن المياه الآسنة، والأطفال الذين يبوّلون على الأرض، والناس الذين يبصقون، وبراز الماعز والكلاب مع كل قطع المعدن المرمية، تجعل الأمر خطراً بعض الشيء، وأنا مدركة لذلك، إلا أنني كنت مستعجلة للذهاب ورؤية رفيقة لي لتريني ثوبها الجديد. فمن الواجب على من يشتري شيئاً جديداً في مدينة الأكواخ أن يريه لأصدقائه وجيرانه. وأنا أيضاً أحب أن أتباهى

بتجميلي، وجواهري وثيابي. بل إنها تصبح أكثر جمالاً عندما أشاهد ومضة حسد في أعين رفيقاتي.

كان والدي يرسلنا مرّة في الأسبوع إلى الجامع لتعلّم العربية: فمقابل عشرة روبيات في الشهر، يجلسوننا في إحدى القاعات، البنات من جهة والصبية من الجهة الأخرى، فنتلو بصوت مرتفع إحدى تلاوات القرآن. يعتبر أبا أنه من المهم أن نتمكن من قراءة القرآن الكريم. وهو متديّن جدّاً ويذهب كل يوم جمعة إلى الجامع، ويجد دوماً الوقت للذهاب إلى الصلاة حتى عندما يكون لديه الكثير من العمل. وقد علّق في المنزل صورة ضريح معين الدين شيشتي، الموجود في أجمر شريف، في راجستان، وهو واحد من كبار قدّيسينا. ويذهب أبي، في شهر تموز/يوليو من كل سنة، للتأمل عند قبره. وقد تعلّمت الكثير من الأمور المثيرة للاهتمام خلال دروسي في الجامع. أعرف الآن أنه عندما يموت مسلم يُوضَعُ في تابوت على عكس الهندوس الذين يتم حرقهم. وإذا كذبنا، يحوّلنا الله إلى عظاءة، وإذا سرقنا نذهب مباشرة إلى الجحيم. ولا يجب الاستهانة بهذه الأمور.

في مدينة الأكواخ، وفي مكان غير بعيد عن منزلي، عاشت فتاة في حوالي الخامسة عشرة. عادت في يوم جمعة بعد الظهر إلى منزلها بعد المدرسة، فقالت لها أمها الجالسة على السرير وهي تقرأ القرآن:

- اغسلي يديك وتعالي اقرأي القرآن معي.

كانت ابنتها متعبة فلم ترد، وأدارت التلفاز من دون ان تسمع كلام أمها. فقالت لها الأم:

- أري تلفزيون دخني سي تيرا بالا ناهين هوغا (لن يساعدك البقاء أمام التلفزيون في الحياة).

وفيما كانت الفتاة مستلقيةً على السرير لمشاهدة الكليبات الموسيقية، اصطدمت ساقها بالقرآن الكريم. وفي اللحظة التي تلت تحوّلت بشرتها إلى لون غريب، مثل البرونز، وأخذت في التشقق. وأصبح وجهها وجسمها يشبهان عظاءة كبيرة. وتحوّلت في خلال دقائق إلى امرأة عظاءة. كادت أمها تموت خوفاً وأصيبت بشلل تام، وأخذت تصرخ فجاء جميع الجيران. بل إن الأطباء جاؤوا، ولم يمكن لأحد معالجة الفتاة. ويبدو أن أمها أرادت أن تعطيها لأحد المتاحف، لكن الابنة ماتت بعد ذلك ببضعة أيام. وهذه ليست بمزحة، إذ تحدّثت عنها الصحف! وقد اقشعر بدني وأبدان كثيرين غيري من الأولاد لسماع هذه القصة. لم أتمكن من النوم بعد ذلك على مدى أيام كثيرة، وأنا من يومها أنتبه إلى احترام القرآن ولا أكذب أبداً. في الحقيقة، أكذب أحياناً، عندما أحتاج مثلاً إلى طلب بعض الروبيات من أبي، أو لتفادي توبيخي.

- أبا، هل يمكنك أن تعطيني عشر روبيات؟

- لماذا؟

- أريد أن أذهب وأشتري بعض رقائق الماسالا.

- أيضاً؟

- أشعر بالجوع.

غالباً ما أشعر بالرغبة في القضم. الفستق، البسكويت، الشوكولا، الوجبات السريعة ذات التوابل، الكاشا آم (المنغا الخضراء) المملّحة وغيرها من الباني بوري، وكرات العجين المقلي اللذيذة: تلك التي تُحشى بالبطاطا المبهّرة، ويمكن شراؤها لقاء بضع روبيات في كل زوايا شوارع مدينة الأكواخ. وأنا أفقد طبعاً الإحساس بالجوع عند موعد الغداء، حتى ولو أعدّت دادي طبقي المفضّل وهو الفروج برياني. وأنسى أحياناً موعد الغداء كلّياً. وعندما لا يرى أبي أنني عدت، يُرسل أحداً للبحث عني وينتظرني عند الباب وهو يحملق فيّ.

- عليك يا روبينا أن تتناولي وجبات حقيقية. وإذا أمضيت وقتك في تناول التفاهات فلن أعود أعطيك مالاً، مفهوم؟

- نعم، أبا.

ومن حسن الحظ أنه ينسى تهديداته بسرعة، وهو، إذا طلبت منه ذلك بلطف، يعطيني الأوراق المالية الصغيرة: فهو يدللني كثيراً ويصعب عليه أن يرفض لي أي طلب لأنني طالما كنت مُدللته. لكن شقيقتي سنا ليست مثلي أبداً، فهي خجولة جداً وتحبّ البقاء في المنزل، ولا تطلب شيئاً أبداً. أما أنا فلا أتردّد أبداً في إسماع صوتي. ولا أدري لماذا علي أن أزعج نفسي إذا رغبت في شيء.

- أبا، هل يمكنك أن تعطيني خمس روبيات؟

- خذي، لكن لا مزيد بعد الآن.

- شكراً، أبا.

نحب سنا وأنا بعضنا ونكره بعضنا في الوقت نفسه. نتشاجر ونشد شعر بعضنا البعض من أجل أمور تافهة، مثل أقراط الأذن، أو طلاء الأظافر، لأنها لا تريد أن تتقاسم أغراضها معي. ولطالما التصقت قدما سنا بالأرض، فيما كنت أنا من النوع الحالم. ونحن نختلف كثيراً عن بعضنا البعض، إلا أننا نحمي دوما شقيقنا الصغير عبّاس، ونحبه حبّاً جمّاً. وأنا لا أتراجع أبداً عن عراك حقيقي عندما يحاول أحد مضايقته. وأعتقد ان شوتو (صغيري) عبّاس مثلي تماماً.

الدراجة الهوائية هي إحدى تسلياتي الأخرى. ويوجد في بندرا الشرقية رجل اسمه سلمان (نسيب أزهار) يؤجّر الدراجات لقاء روبيّتين لكل خمس دقائق. فأنطلقُ، بحسب ما يكون معي في جيبي، لعشر أو خمس عشرة دقيقة لا بل أحياناً لثلاثين. أعشق التدويس حول مدينة الأكواخ، بالرغم من التحدّي الحقيقي الذي يشكّله التعرّج بين الماعز والباعة وأنا أنقد الفستق أو البسكويت من السلّة المثبتة على المقود. وغالبا ما أتعرّض لملاحقة النساء والباعة الجالسين على الأرض عندما ألمس فاكهتهم أو خضارهم. ولا يتردّد الناس في مدينة الأكواخ في شتم بعضهم البعض. فالرجال والنساء بل وحتى الاطفال يتلفظون بعبارات نابية طول النهار.

- مرجاني، دخ كين شال مير أنغور خراب كار ديا! (أتمنّى أن تموتي أيتها الفتاة القذرة، لقد مررت فوق عنبي!)

أذهبُ، عندما لا أركب الدراجة، لأتسلى في الشارع الرئيسي مع رفيقاتي، روبينا صديقتي المفضّلة (وهذا مضحك لأننا نحمل الاسم نفسه)، وأزا، وفانا، وسوهون، ولوكسار. وجميعنا في السنّ نفسها، وأنا رئيسة الزمرة. لقد أقام أحدهم، في الشارع الرئيسي إلى جانب خط السكة الحديد، نوعاً من المنصّة التي تُستخدم للاحتفالات الدينية. وعيدي المفضّل هو نایاز: إذ تتم، وعلى مدى أحد عشر يوماً، قراءة الخطب الدينية بصوت مرتفع حتى ساعة متأخرة من الليل، ومن ثُم يُقدّم الطعام للأكثر فقراً. ويفعل الناس ذلك من باب الخير، تقرّبا منهم إلى الله. وأبقى، في خلال ذلك الاسبوع، خارجاً مع رفيقاتي بحجّة الاستماع إلى الخطب الدينية. ونحن نثرثر، طبعاً، ونمزح، ونتدافع، أو ندفع بكراسينا. فنحظى فوراً بالنظرات الغاضبة وبالتوبيخات، لكن ذلك لا يؤدي بنا إلا إلى المزيد من الضحك.

نستخدم، في باقي الوقت، ذلك المسرح الخشبي الصغير مقرّاً عاماً لنا ونقطة التقاء. فنلعب عليه بعض العروض الصغيرة، أو نجلس ونتناقش. وأنا أحب أيضاً أن العب الغميضة مع أولاد الحيّ الآخرين: إذ يوجد عدد كبير من المخابئ الممتازة في ما بين دكاكين باعة الطعام، وجبال النفايات، والأزقّة المليئة بالزوايا المنعزلة. وفي المساء نعزم بعضنا للعب في المنزل قبيل موعد

العشاء. وغالباً ما تأتي روبينا للتفرج على الرسوم المتحرّكة عند جدتي. وأنا لا أحب الأيام التي يتعطّل فيها تلفازنا أو عندما يُعلّق أحدهم شريطاً على الكابل الخاص بنا للحصول على المحطات مجاناً. ففي هذه الحالة لا نتلقى البرامج بشكل صحيح. ولا يتردّد الناس في مدينة الأكواخ في التلاعب بالخطوط للحصول على الكهرباء أو على بث الكابل مجاناً، وغالباً ما يدفعهم ذلك إلى الجدال. وتسوء الأمور أحياناً، فيكيلون الشتائم لبعضهم البعض، بل ويأخذون في التضارب.

من حسن حظي أن جدتي لا تطلب مني أن أساعدها في المنزل، فأنا لم أحب أبداً أعمال المنزل. ولا يبقى هناك من يراقبني لأن والدي يذهب إلى العمل طول النهار. وأصبح عندها حرّة كالهواء، أفعل ما يحلو لي. غير أنه، ولسوء الحظ، يبلغه الخبر عاجلاً أم آجلاً.

- رفيق، لقد ارتكبت ابنتك أيضا حماقاتها المعهودة.

- آب كيا كيّا؟ (وماذا فَعَلَتْ؟)

- لقد ضَرَبَتْ ابنتي، للمرة الثانية هذا الأسبوع.

- آشا[1].. سأوبخها على ذلك.

لا يحب والدي أن أتشاجر مع رفيقاتي. وأنا لست في العادة ممن يحبون الشجار، لكنني لا أتردّد في الدفاع عن نفسي. ثم أن الأمر لا يعدو في الغالب كونه من أجل المرح.

---

(١) حسناً، جيّد.

أحب، على سبيل المثال، إخافة الناس، بمن فيهم الكبار، بالقفز على ظهورهم: أفاجئهم بالقفز عليهم والتمسّك بأعناقهم بقوّة مثل الكوالا. وهدفي هو أن أبقى متمسكة لأطول مدة ممكنة!

وما أحبه أيضاً في سياق السنة هو الأعياد الإسلامية التي يتجمع فيها الكثير من الناس على مدى ثلاثة أيام على الأقل. والفترة الأفضل من السنة عندي هي الاحتفال بعيد الأضحى وبعيد الفطر. فتعيش مدينة الأكواخ، في كل مكان منها، أجواء الكرنفال. تزورنا عائلتنا البعيدة ونحضّر ولائم كبرى تستمر لساعات. تبدأ النساء في تحضير الطعام في وقت مبكر جداً من اليوم، ولمرّة تفوح من الشوارع الروائح الطيبة للتوابل والأرز الذي تتصاعد منه الأدخنة ولحم الخروف المقلي.

يصبح والدي سخيّاً جداً في تلك المناسبات. فيعطني مالاً أكثر من المعتاد، ويشتري لي ثياباً جديدة، إضافة إلى حقيبة يد أضع فيها العيديّة، وهي المال الذي سأتلقاه. ومن عادات عيد الفطر أن يعطي البالغون جميعهم القليل من المال للأصغر سنّاً كتعبير عن المودّة. وأحب كثيراً رؤية مدينة الأكواخ وهي تتحوّل في تلك الفترة. يصبح كل شيء حسن الزينة، وتعم المكان الأضواء الملوّنة، وتفوح الرائحة الطيبة، ولا يتقاتل الناس. ويشكّل جميع السكان عائلة واحدة متناغمة. ثم إن والدي يدفع لي للقيام بجولات في مدينة الملاهي التي تستقر في الحي في خلال العيد، ويشتري لنا الملبّس والمثلجات وأشياء نقرمشها

تحتوي في داخلها على الكثير من الإيلمي (التمر الهندي). إنها اللحظات الوحيدة التي أشعر فيها بأنني سعيدة، وراضية، وطبيعية، مثل الناس الذين نشاهدهم على شاشة التلفزيون.

٢

عمري تسع سنوات وأريد أن أصبح ممثّلة

التلفاز هو أفضل شيء وصلنا، أنا وسكان مدينة الأكواخ، هذا مؤكّد. أمضي أمامه، منذ حداثة سنّي، أطول وقت ممكن. وبوصول الكابل أصبح الأمر، بصراحة، أكثر تسلية. أردت، وأنا أصغر سنّاً، أن أشاهد وحسب «ميكي ماوس» وغيره من الرسوم المتحركة. وأنا لا أزال أعشقها، وبخاصة «دوريمون» و«بوكيمون»، وأشاهدها بانتظام مع أنسبائي وزوجة عمّي. أوقفوا في إحدى المرات عرض «دوريمون»، وهو برنامج طريف جداً، فحزنتْ زوجة عمّي كثيراً. يا لها من طفلة حقيقية.

لدينا جهاز تلفاز قديم، نتشاجر، أنا وشقيقتي سنا، طول الوقت لنقرر ما نشاهد عليه. ولأن سنا مهووسة بالمسلسلات فمن غير الوارد أن تفوّت حلقة واحدة منها. بل إنها تشاهد الإعادات أيضاً، وإذا فوّتت حلقة تذهب إلى إحدى رفيقاتها لمعرفة ما جرى من أحداث فيها. وقد تعلقت مدينة الأكواخ كلها بقوّة بـ «ساس-بهو» (مسلسل قضائي يتحدث عن حماة

وكنتها) وقد تعودت النساء على تنظيم أوقات عملهن لتتناسب مع مسلسلهن المفضّل... وإذا غيّرتُ القناة، ترتفع النبرة ونأخذ في التضارب. فتدفعني سنا وتقرصني لتجعلني أفلت جهاز التحكّم عن بعد، وينتهي الأمر دوماً بذرف الدموع. ثم إنني كبرت وأصبحت أنا أيضاً من المعجبات بالمسلسلات. وأخذت أحلم في الدخول إلى هذا العالم الساحر.

- وُه كيا شام شاماتي دنيا هي!... (يا له من عالم رائع مليء بالأضواء!...)

أُعجبتُ بأولئك النساء الجميلات، وبمجوهراتهن وبتبرّجهن، وبقصص حبّهن، وبالقدر الكبير من التعقيدات الموجودة في حياتهن. غير أن السينما هي التي تؤثّر فيّ أكثر ما يكون. فأنسى، في خلال ثلاث ساعات، كل شيء. أحببت الأغاني الراقصة والقصص المأساوية. وكنت أُصفّر وأصرخ عندما يتعارك البطل مع الشرير وتصل الأمور في النهاية إلى خاتمة سعيدة. فيُسعدني ذلك جدّاً! تُعطيني مشاهدة الأفلام الأمل دوماً بأن حياتي ستنتهي إلى خير، وبأن كل الأمور ستترتّب إلى الأفضل.

يأخذنا والدي، من وقت لآخر، إلى «غيتي غالاكسي»، وهي دار كبرى للسينما في بندرا، فنشعر جميعنا بالبهجة. وكنّا نشتري بشكل منهجي تذاكر للمقاعد الرخيصة لأنها لا تكلّف الكثير. ويتوجّب علينا، طبعاً، أن نمدّ أعناقنا دوماً وننظر إلى الأعلى لمشاهدةِ الفيلم على نحوٍ أفضل، غير أنني لم أكن أبالي

كثيراً إذ أصبح مأخوذة جداً بما يجري أمامي على الشاشة الكبرى وبالصوت الذي يأتي من كل مكان.

أحب بخاصته الكوميديا، وأفلام الحركة، والأفلام الرومانسية. وأحد أفلامي المفضّلة هو غاجيني مع أمير خان وتلك الممثلة الجميلة جداً واسمها أسين. وكلاهما ظريف للغاية، والأغاني جيّدة جداً، ولو أنه لا يمكن الرقص على إيقاعها. يلعب أمير خان، وهو واحد من كبار نجوم بوليوود، دور البطل الثري جداً، فيما البطلة تعاني من الفقر المدقع. يُغرمان ببعضهما البعض، وفيما هما على وشك الزواج يقتل شخص شرير جداً، اسمه غاجيني، المرأة ويجرح البطل الذي يأخذ بعد ذلك في نسيان الأمور. ينسى كلّ ما جرى له، ويريد مع ذلك الانتقام لحبيبته... توجد مشاهد عنيفة جداً، إلا أنني أحببت كثيراً المشاهد المُستعادة التي تخبر قصّة حبهما. والأمر السحري في الشاشة السينمائية الكبيرة هو شعوري بأنني في الفيلم، وبأن كل ذلك يحصل معي، فأحس بمشاعر الشخصيات نفسها، وأصاب بالحزن، أو الفرح، أو الغضب معها.

بيد أن ممثلي المفضّل هو سلمان خان. فهو جميل جداً، بالإضافة إلى كونه مفتول العضلات. ويلعب، في كل أفلامه، مَشاهدَ وهو عاري الجذع، غير أن الجميع يحبّون ذلك. يريد كل فتية مدينة الأكواخ الحصول على عضلات سلمان خان نفسها. وهو مُضحك جداً، ويميتني في كل مرّة من الضحك عندما يلعب دور الأبله في أفلامه التي شاهدتها كلها. وآخرها

كان يوفراج وشريكه. أحببت هذا الفيلم بخاصة، بالرغم من أن صديقته كاترينا كايف تلعب دوراً فيه.

ومعبودتي من البطلات هي بريتي زينتا. أعتقد أنها أعظم نجمة في العالم، وهي جميلة جداً ببشرتها الفاتحة، وامتلاء وجهها بالغمّازات عندما تبتسم. أجدها محبوبة جداً، وأودّ أن أصبح مثلها تماماً عندما أكبر. وكرّيش هو آخر الأفلام التي شاهدتها لبريتي زينتا، غير أنها لم تلعب فيه إلا دوراً صغيراً جداً. ويتناول الفيلم قصة كريشنا، الفتى الذي وُلد بقوى خارقة ورثها عن والده الذي زاره كائن فضائي في صحن طائر وهو صغير. وأصبح البطل الخارق كرّيش الذي يعمل لإنقاذ العالم المُهدّد من أحد العلماء المجانين. وتلعب بريانكا شوبرا الدور الأنثوي الأول. وقد عشقتُ فيلمها الأخير فاشن، وهو يتحدّث عن عارضات الأزياء وحياتهن. لم أفهم الموضوع جيداً، لكن الأغاني رائعة جداً. ونعرف، ابنة عمي روكسار وأنا، حركات رقص أغنية الفيلم عن ظهر قلب.

- جلوا يه جلوا فاشن كا هاي يه جلوا. (سحر، سحر، هذا كله سحر الموضة).

أمضيت فترات بعد ظهر كاملة وأنا أقلّد مع ابنة عمّي روكسار حركات رقص الكثير من الأغنيات. فنستفيد من غياب الأهل لنتدرّب على الحركات أمام التلفاز، لأنه من المهم جداً أن تكون الممثلة راقصة جيدة إضافة إلى أنني أعشق الرقص. وابنة عمي روكسار ترقص جيّداً وعلّمتني الكثير من الخطوات.

والرقص عند روكسار شغف. لكنها لا تريد أن تصبح ممثلة، وحتى ولو شاءت فلن يسمح لها عمي وزوجته بذلك أبداً. وهي تكاد تبلغ الثامنة عشرة، وتعتقد زوجة عمي أنه لا يحق للفتيات اللواتي في سنّها الخروج وحدهن، ناهيك بالرقص. وجميع فتيات مدينة الأكواخ تقريباً يتزوجن في حوالي الثامنة عشرة، فهي ليست بالمكان الآمن للفتيات البالغات. والصبية قليلو التهذيب بالفعل، يصفّرون لهنّ، ويزعجونهن، ويطلقون الكثير من التعليقات البذيئة.

غير أنه، وبالرغم من وجود الكثيرين من الأولاد الذين يحلمون بأن يصبحوا في يوم من الأيام نجوماً، كنت أعرف، أنا، أنني سأحقق ذلك.

يقيم بارفيش على بعد ثلاثة منازل من كوخ زوجة عمّي، وهو رجل متوسط العمر، شعره أسود مزيّت، وعيناه مكحولتان وشفاهه محمرّة من جراء مضغه الـ بان ماسالا (نوع من التوابل) طول النهار. لا يتكلّم كثيراً، ويترك آثاراً حمراء وراءه كونه يبصق طول الوقت. وهو يعمل لصالح بابو باي وهو الباحث الأكبر عن الشبان والممثلين الثانويين في بوليوود. وقيل لي أن لديه موظفين في كل مكان يبحثون عن مختلف أنواع الممثلين، البدينون منهم والصغار والصبية وطلاب الجامعات بل وأيضاً من البيض. ويعثر بارفيش على ممثلين من الأولاد وكما أنه يأخذ أحياناً صبية أكبر سناً للعب أدوار صغيرة والظهور في مختلف الأفلام. وقد مضت عليه سنوات كثيرة وهو يعمل في هذا

المجال. وهو كذلك من كبار أصدقاء عمّي. لكنني أعرف الآن أن عمي لم يعد يحبه كثيراً، بعدما وعده بأخذ ابنه محسن للقيام بتجربة أداء ثم أخذ فتية آخرين مكانه. ومحسن راقص جيّد جدّاً إضافة إلى أنه يتمتع بقدر من الجمال. غير أنه يُعرف عن بارفيش قيامه بتلك الألاعيب الصغيرة ولا يجرؤ أحد على أن يقول له شيئاً لأن الناس يريدون أن يحظوا برعايته ليوفّر العمل لأولادهم.

لاحظني بارفيش في الشارع وأنا في الثالثة من العمر. أخبرني أبي بأنه وجدني ظريفة جداً وبأنه يعرض عليّ دوراً في إحدى الدعايات: وهي كناية عن حملة توعية على مرض يُدعى السيدا وقد صَوّرتها بالاشتراك مع ممثل اسمه سونيال شتّي. لكنني لم أعد أذكر أي شيء عن ظهوري الأول أمام الكاميرا، ولم تعد الدعاية تُعرض على التلفاز.

عاد بارفيش لرؤية والدي في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٧، ومعه هذه المرّة ما يعرضه عليّ في مجال السينما. وتم اختياري بعد تجارب الأداء. ولسوء الحظ تزامن موعد التصوير مع زواج جارة لي أنا على معرفة وثيقة بها. وهي بمثابة شقيقة لي، ولم أكن لأفوت المناسبة لأي شيء في العالم، حتى لفيلم. وهي في النهاية لن تتزوّج إلا مرّة واحدة، فيما أنا على يقين من أنه سيتاح لي الكثير من الفرص للتمثيل في السينما. وحاولت تعزية نفسي بالقول إنها ليست بالخسارة الكبرى، وإنها ليست سوى البداية، ولو أنني أصبحت حزينة بعض الشيء.

ولم يمنع ذلك أنني مُحقّة: فبعد مرور أقل من شهر، مرّ بارفيش بمنزلنا من جديد.

- مرحباً، رفيق.

- مرحباً، بارفيش، كايساي أنا هُوا؟ (ما الذي جاء بك إلينا؟)

- لديّ عرض جديد لروبينا، في فيلم إنكليزي. سيُصوّر جزء منه في مدن أكواخ مومباي، ويبحث المنتجون عن أولاد تعوّدوا على بيئة من هذا النوع.

جلست بالقرب من والدي وأنا لا أفوّت ولو حرفاً مما يقوله بارفيش. سُررت جداً بالحصول على عرض آخر في السينما. وكنت أيضاً على أحر من الجمر. فلا مجال لتفويت الأمر هذه المرّة. وأعتقد أنني لم أستطع الإحجام عن الابتسام عندما استدار والدي صوبي.

- كاراجيبي، روبينا؟ (هل ستقومين بهذا، يا روبينا؟)

- نعم، أبا، أرجوك.

- تيك هاي، تيك هاي! (حسناً، حسناً!)

مرّ بارفيش بعد ذلك ببضعة أيام لاصطحابي من منزلي. لم أعرف ما الذي سيحصل أو إلى أين نتوجه، لكنني طرت حماسة. شاهدت حافلة متوقّفة في الشارع الرئيسي إلى جانب الرصيف وسط العربات ذات العجلات الثلاث التي يجرّها

الأشخاص. وقد سبق أن جلس فيها عشرات أولاد مدينة الأكواخ: بعضهم من الأصدقاء، وأنا أعرف الكثيرين منهم بالوجه.

سألتُ بارفيش:

- هل سيقومون هم أيضاً بتجارب الأداء؟

- نعم، هذا مشروع أجنبي ضخم سيشارك فيه ألف وخمسمئة ولد، وأنا أهتم بخمسين منهم فقط ممن يقيمون في قطاعي. فأنتم حوالي الخمسين ستأتون من بندرا الشرقية.

انتابني الكثير من القلق من جراء المنافسة التي ستضعني في مواجهة ألف وخمسمئة ولد للحصول على دور في هذا الفيلم. توقّف الباص في حيّ آخر لا يبعد كثيراً عن حيّنا، فأصعد إليه بارفيش أولاداً آخرين لنتوجّه من ثمّ في اتجاه أنديري، وهي إحدى أكبر ضواحي مومباي. استغرقنا الذهاب إلى هناك أكثر من ساعة. وأخبرنا بارفيش أن أكبر مكاتب بوليوود موجودة في هذا الحيّ. وصلنا إلى استديوهات إنتاج «إيديا تيك وان». لم يسبق لي أن سمعت بهذه الشركة من قبل. وقادونا في الداخل إلى غرفة كبيرة ملأى بالأولاد، العشرات والعشرات من البنات والصبيان في مثل عمري تقريباً. شعرت ببعض الضياع وبقيت مع أولاد حيّنا. عمّت الإثارة فيما الجميع يثرثرون، غير أنني بقيت شاردة الفكر أتساءل عما سيطلبون منّا القيام به.

قال لنا بارفيش:

- اجلسوا وانتظروا هنا حتى يُنادى عليكم. واخدموا أنفسكم إذا شعرتم بالجوع أو بالعطش. فالطاولة تحتوي على كل ما يلزم.

افترضتُ أن تجربة الأداء ستكون طويلة جدا بوجود كل هؤلاء الأولاد. غير أنه سرعان ما جاءت إحدى النساء لتكلّمنا. احتاجت إلى بضع دقائق لإسكات الجميع واسترعاء انتباههم.

- صباح الخير يا أولاد، اسمي لوفلين وأنا المديرة المسؤولة عن اختيار الممثلين. أعرف ان الكثيرين منكم لا يتحدّثون الإنكليزية، فلا تترددوا، إذا كانت لديكم أسئلة، بالمجيء إليّ وطرحها. بالنسبة إلى تجربة الأداء سننادي عليكم في مجموعات مكونة من عشرة. وعندما تسمعون أسماءكم انهضوا واتبعوا الشخص الذي سيأتي لأخذكم. هل فهمتم كلّكم.

وحملت كلمة «نعمم!» الكثير من الضجيج.

عندما جاء دوري تبعت الموظف مع المرشحين الآخرين. أصابني بعض التوتّر. وفي قاعة الأداء جاءت لوفلين لتشرح لنا أن الأمر بسيط جداً: يجب أن نتخيّل أننا نركض على طول أحدى الطرق. لكن انتبهوا، هذا ليس بسباق، وبالتالي لا تتدافعوا!

نظرنا إلى بعضنا البعض وقد تفاجأنا بعض الشيء. إذ يُطلب منّا، في الغالب، أثناء تجارب الأداء، قول أحد الحوارات أو تتم مراقبتنا ونحن نرقص. لكن الأمور متغيّرة هنا.

نظرنا كلّنا إلى بعضنا وقد اعترانا بعض الدهشة، وسأل أحد الصبية لوفلين ديدي[1]:

- سيرف باغنا هاين؟ (الركض فقط؟)

- هان، سيرف باغنا هاين. (نعم، الركض فقط). تنطلقون عند إشارتي. هل أنتم جاهزون؟

- نعم!

- إك، دو، تين، شالو! (واحد، اثنان، ثلاثة، انطلقوا!)

أخذنا، عند إعطاء الإشارة، نركض جميعنا في وقت واحد، مما تسبب بنوع من الفوضى. لم نكد نقطع بضعة أمتار حتى طُلب منّا التوقّف.

- حسناً. هذا جيد جداً. ارتاحوا قليلاً وسنعيد. وهذه المرة انطلقوا بهدوء أكبر. وأنا أكرر أن هذا ليس بسباق وبأننا لا نبالي بمن هو الأسرع. نريد وحسب أن نشاهدكم تركضون.

واصلتُ في غضون ذلك التساؤل عن حقيقة نوع الفيلم وأنا أراجع في ذهني المواضيع المختلفة: حركة، رياضة، تشويق...

لم تكن تجارب الأداء على قدر كبير من الصعوبة! جعلونا نركض ثلاث مرّات وعدنا من بعدها إلى القاعة المجاورة للجلوس مع الآخرين. وما إن مرّ الجميع حتى عادت لوفلين للتحدث معنا.

---

(١) تعبير مودّة بالهندية، يمكن ترجمته بكلمة «أخت».

- كان ذلك ممتازاً. شكراً يا أولاد. نلتقي غداً من أجل البقية.

كان ذلك كلّ شيء. وسبق لبارفيش أن نبّهنا إلى أن عملية الاختيار قد تستغرق عدة أيام وأن ذلك لن يكون سهلاً. وقد أثارتنا جميعنا فكرة العودة، خاصةً وأنني اكتسبت بعض الرفاق. ثم أن الأمر ليس مجرّد تجربة أداء وحسب، بل أيضاً مناسبة للخروج.

أوصلتنا الحافلة كلّ إلى حيّه. ولدى وصولي كان شقيقي الصغير عبّاس ينتظر بفارغ صبر لمعرفة كيفية سير الأمور.

- كيف جرى الأمر إذاً؟ ماذا اضطررت إلى فعله؟

- ركضت.

- ماذا؟

- أقول لك أنني ركضت... وهذا كل شيء. إنه فيلم يتعلّق بالسباق، على ما أظن.

وبالرغم من أن إجابتي لم تُرْضِ عبّاس، فقد هرع مع ذلك خارجاً ليخبر رفاقه بكل شيء ويسخر منّي.

في اليوم التالي، وفي الساعة نفسها، انتظرتنا الحافلة عند مدخل مدينة الأكواخ. وشاهدت في داخلها جميع رفاق الأمس. رائع! لقد نجحنا جميعنا في اختبار الأداء الذي توجّب علينا فيه الركض!

عند وصولنا إلى الأستديو كانت لوفلين، الدائمة اللطف، في انتظارنا.

- صباح الخير يا أولاد. هل أنتم بخير؟ ألستم متعبين جداً؟

- كلا!

- حسنا. اليوم كالأمس: سننادي عليكم ولكن بمجموعات أصغر، من ثلاثة أو أربعة. وسيكون عليكم هذه المرة تلاوة بعض الأجوبة. لا شيء صعب... عليكم قبل ذلك فقط أن تحفظوها عن ظهر قلب.

فكّرت عندها أنه سيكون علينا، في النهاية، أن نقول شيئاً، وسررت جداً لمعرفتي أنه توجد أيضاً حوارات في الأفلام الإنكليزية.

طُلب منّي، لمّا جاء دوري، أن أجلس إلى طاولة كبيرة من الخشب مع ثلاثة أولاد آخرين. وُضعت أمام كل واحد منا صحون فارغة. وشرحت لنا لوفلين المشهد بسرعة.

- حسناً، أيها الأولاد، سنقدّم لكم دال شوال (أرز مع العدس المتبّل) وستأكلونه. تذكّروا وحسب أن عليكم التهامه كما لو أنكم لم تتناولوا وجبة حقيقية منذ زمن بعيد.

قلت في نفسي: «هذا سهل جداً!» ثم أن الأمر يأتي في وقته لأنني كنت أشعر ببعض الجوع.

- روبينا، عليك، بعد أن تبتلعي بعض اللقمات، أن

تقولي: «لو أن هذا السيد يملأ صحننا مرّة ثانية، فسيعني ذلك أنه لطيف فعلاً!» موافقة؟

- موافقة.

راجعنا المشهد آلاف المرات ليتمكن الجميع من تلاوة نصّهم.

عدت في اليوم التالي إلى مسرح التصوير، وكذلك في الأيام التي تلت، وتوجّب عليّ في كل مرّة قول جمل جديدة. وأمكننا، من وقت إلى آخر، رؤية لوفلين تترجم سريعاً أحد المشاهد من الإنكليزية إلى الهندية في إحدى زوايا الأستديو قبل أن تجعلنا نمثله. وما أن يأتي دوري حتى أنسى كل ما يحيط بي. لم نعرف بعد عمّا يتحدّث الفيلم، إلا إنني أخذت، ومن كل قلبي، أقول الكلام الذي أُعطِي لي. بدا لي كلّ شيء على قدر كبير من السهولة، كما لو أنني كنت أفعل ذلك طوال حياتي!

كان الجو بهيجاً والجميع لطفاء جداً معنا. وقد اتخذتُ الكثيرين من الأصدقاء. ومع مرور الأيام أخذ عدد الأولاد الذين ينضمون إلينا في الحافلة كل صباح ينخفض تدريجياً. وأسعدني أنني لا أزال في السباق وقد اعتدتُ فعلاً على تجارب الأداء. وهناك التقيت أزهار الدين. سبق لي أن رأيته يتسكّع في الجوار، غير أننا لم نكن رفيقين. الجميع ينادونه أزهار. وهو يكبرني بسنة واحدة ويقيم أيضاً في بندرا الشرقية، في الجانب الآخر من الطريق. وليس منزله سوى بضعة ألواح من التنك

المُموّج مع غطاء أصفر هو بمثابة السقف. لم أكفّ معه أبداً عن الضحك. فهو دائم التهريج ولا يفوّت أبداً أي فرصة لإخراج دعابة ما. وهو يفعل حركات في وجهه ويقلّد الأولاد الآخرين. لقد تسلينا بصورة مضحكة كثيراً.

مضت عليّ عشرة أيام وأنا أذهب إلى تجارب الأداء، ولا أعرف مع ذلك هل تم اختياري أم لا. وأخذ بارفيش، في كل زيارة من زياراته، يحمل إليّ أخباراً مثيرة، ولذا تساءلت، لمّا مرّ بعد ظهر أحد الأيام، عمّا سيحدّثني به. طلب مني الاستعداد لأن عليّ أن أقابل مخرج الفيلم. أمطرتُ بارفيش بالأسئلة، لكنه أسكتني وذكّرني بأن عليّ الاستعداد سريعاً جداً. التقيتُه في الشارع الرئيسي حيث ينتظرني، وركبنا إحدى الحافلات إلى حيّ جوهو بيتش الذي يتطلّب الوصول إليه من عندنا نصف ساعة، إلا أنني سعدت باكتشاف الشاطيء الذي علينا أن نمر من أمامه. وسبق لي أن شاهدت جوهو بيتش في الأفلام، وأخبرتني عنه رفيقات لي. اجتزنا منازل كبيرة جداً تشبه تماماً منازل المسلسلات، كما أنه توجد أيضاً فنادق جميلة ومطاعم راقية، وانعطفت الحافلة في النهاية وشاهدت شريطاً هائلاً من الرمل مليئاً بالناس الواقفين أو الذين يتخبطون في الماء، وببائعي الأطعمة السريعة، والغولا (البوظة المحبّبة القليلة السكر)، والسكاكر. رغبت في الاقتراب من الماء، ونظرت إلى بارفيش نظرة استعطاف، لكنه رفض لأننا تأخّرنا.

- سيرف، إك مينوت (دقيقة واحدة فقط)

- ناهي، شالو. (كلا، سنتابع).

أنزلتنا الحافلة عند مفترق الطرق الرئيسي وتابعنا سيراً إلى أن بلغنا فندقاً عظيماً يدعى صن أند ساند، يقع على محاذاة الشاطىء.

توقّفنا أمام باب كبير جداً. لم أعرف بوجود أماكن مماثلة، فتحمّست بالأحرى لإمكان قيامي باستكشاف هذا المكان. ما إن وضعت رجلي في الداخل حتى شعرت بأنه تاندا (معتدل البرودة) جداً. فأجهزة تكييف الهواء موجودة في كل مكان. وهو من داخله نظيف على نحوٍ لا يُعقل. وفي الإمكان رؤية انعكاس صورتنا على أرضية الفندق اللماعة. وتوجد لجهة اليمين عدة متاجر تبيع كل أنواع الأمور من الشوكولا وكريمات التجميل، والعقود الجميلة والخواتم.

- اجلسي على الأريكة، سأعود.

أجلس؟ هذا محال! فكل ما أريده هو إلقاء نظرة على ما حولي، إذ لا يُتاح لي في كل اليوم المجيء إلى مكان من هذا النوع. أخذت في الاستعداد لاستكشاف الشرفة المطلة على الشاطىء عندما جاء بارفيش للبحث عني.

- شالو، وُه لوغ هامارا إنترزار كار راهي هاين. (لنذهب، إنهم في انتظارنا.)

تبعته على طول ممر مليء بالأبواب التي تحمل أرقاماً. وتوقفنا أخيراً عند أحد هذه الأبواب، وطرق عليه بارفيش بخفر.

- ادخل!

كانت لوفلين في الداخل في انتظارنا. ابتسمت، لكنها بدت في الوقت نفسه جدّية. لم تتح لي الفرصة كثيراً للتحدث معها خلال تجربة الأداء. لم أعرف أني سأجدها هنا، لكن رؤية وجه معروف منحتني الثقة. نهضت لتحيينا، ودفعتني أمام رجل تبدو عليه سيماء اللطف الشديد ويضع نظارات. افترضت، من بشرته البيضاء والزهرية، أنه لا يتحدّر من مومباي، وربما ليس من الهند. وهي المرة الأولى التي ألتقي فيها أجنبياً في حياتي. رأيت منهم في الأفلام، لكنه أول من أقيم اتصالاً معه.

- داني، هذه روبينا. روبينا، أقدّم لك داني بويل، مخرج الفيلم.

- ناماستي (مرحباً).

- ناماستي.

تطلّعت إلى الرجل بفضول: جبهته عالية وابتسامته عريضة. لم أكن أتحدث كلمة واحدة بالإنكليزية، ولا هو كلمة واحدة بالهندية في ما عدا ناماستي. غير أنه بدا ساكناً وغير متكلّف، وشعرت على الفور بأنني مرتاحة معه. قال بضع كلمات وهو يبتسم، وترجمت لوفلين.

- داني شاهتي هاين كي آب باريش ولا سين كار كين ديكايي؟ (يريدك داني أن تمثلي مشهداً تحت المطر).

- تيك هاي! (حسناً).

سبق لي أن كررت هذا المشهد، خلال تجارب الأداء، مع أزهار وأيوش وهو صبي آخر من عمري. علي أن أتظاهر وكأنها تمطر وأقف أمام أزهار وأيوش بمظهر يائس لإقنعهما بتركي أدخل إلى ملجئهما. ضحك أزهار كثيراً أثناء التجارب عندما رأى التعبير التوسّلي الذي اتخذته. فقد وقفت في وسط الغرفة، وكتفاي محنيّان كما لحماية نفسي من الإعصارات المائية التي يفترض أنها تنزل عليّ، واتخذت أكثر مظهر تعاسة ممكن. وقف داني، وقال بحماسة:

- رائع! هذا جيّد فعلاً!

ترجمت لوفلين وقد بدا عليها الارتياح الواضح:

- داني باهاوت خوش هاين. تومي باهوت أكشا كيا! (داني مغتبط، ويرى أنك تدبّرت أمرك جيّداً!)

سُررت من نفسي. وتبادلت لوفلين بعض الكلام مع بارفيش، ثم قال لي داني: «إلى اللقاء يا روبينا»، وخرجنا من القاعة. لم أتمكن، لدى وصولنا إلى بهو الفندق، من رفع ناظري عن الشرفة وطلبت الإذن من بارفيش لأذهب وأرى. فردّ ضاحكاً: «تيك هاي!».

يوجد في الخارج حوض رائع للسباحة والكثير من الأجانب الذين يستلقون على أسرّة خشبية أو يسبحون. لم يسبق لي أن شاهدت حوضاً للسباحة من قبل. وهو نظيف للغاية ومياهه بلون السماء ولكنها داكنة أكثر بعض الشيء. وهناك واحدة أصغر حجماً تنطلق فيها الفقّاعات من كل صوب. وقد ارتدى الناس

ملابس قليلة. لم أعرف أنه في وسع البالغين التجوال في الأماكن العامة وهم لا يرتدون سوى ملابسهم الداخلية. ففي حيّي لا يلبس أحد هكذا. غير أن المياه سحرتني، ثم أنه بالإمكان رؤية الشاطىء. ولا يوجد غير الماء على مدّ البصر.

ولأنني أعشق الماء، اقتربت من الحافة وأنا أتحرق شوقاً للغطس فيها. وما كدت اخلع الشابال (الخفّين) وألمس سطح الماء برجلي حتى اندفع بارفيش نحوي:

- ما الذي تفعلينه، يا روبينا؟

- في الحقيقة، أردت السباحة!

- آسف، لكن ذلك غير ممكن أبداً. يجب ارتداء ملابس السباحة للنزول في الحوض.

عندما كنت أذهب، في منزلي، لأستحم في الخزان خلف المنزل كنت أبقى بكامل ثيابي. لقد أُصبت بخيبة أمل كبيرة، لكن ليس لدي خيار.

عدنا وأخذنا الحافلة إلى مدينة الأكواخ، وقد تملّكتني، بالرغم من بعض استيائي لعدم تمكّني من السباحة، رغبة فائقة في أن أروي لشقيقي ورفاقه ما رأيته في ذلك اليوم. بدا بارفيش، خلال الرحلة، أكثر ارتياحاً وأخبرني بأنه تمّ استبقائي للفيلم.

- ساك مين؟ (صحيح؟)

- هاين (نعم).

- أشا! (حسناً).

الأمر على أحسن ما يرام: سأشاهد نفسي أخيراً على الشاشة الكبرى. لم تكن لدي أدنى فكرة عمّا تحكي القصة أو عن الدور الذي حصلت عليه، إلا أنني لا أبالي كثيراً بذلك كلّه: فأنا، روبينا، سأمثل في فيلم، وفي فيلم حقيقي! استعجلت لإخبار أبا بذلك. وما إن نزلت من الحافلة في بندرا حتى ركضت على طول السكة الحديد. دفعت بالكثير من الناس الذين شتموني، وسرتُ في القاذورات، لكن الأمر ليس بذي بال، لأنني سأمثّل في فيلم. وركض بارفيش ورائي ليشرح كل شيء لأبي. وقد انتظرني أبا عند عتبة المنزل، وثار فضوله لمعرفة سبب ركضي بهذا الشكل. طلب مني الجلوس لالتقاط أنفاسي. أردت أن أخبره كل شيء، غير أنني اعتقدت أنني لن أتمكّن أبداً من ذلك لدرجة ما أصابني من التوتّر. وتمكّنت في النهاية من القول:

- أبا! أبا! سأمثّل في فيلم!

- هيّا! اهدأي يا روبينا!

- في فيلم يا أبا، هل تدرك!

جُننت من الفرح. وأخذت في الرقص من حوله. ثم دخل بارفيش والبسمة على شفتيه، وهذا نادر، ونظر إليه أبا نظرة المتسائل.

- بدّاي هو، رفيق باي، روبينا بانش سو باشو مين سلكت هو غايي هاين. (تهانينا، رفيق باي، اختيرت روبينا من بين ألف وخمسمئة ولد).

عرفتُ أن والدي فخور بي، ولو بدا عليه التردّد بعض الشيء.

- حسناً، ما هو هذا الفيلم؟

- فيلم إنكليزي.

لم يُلحظ في تلك الفترة عرض الفيلم في الهند. ولم أبالِ: فالفيلم هو فيلم، وسواء قام به أجانب أم هنود فلن يغيّر ذلك في الأمر شيئاً. المهم هو أن ألعب دوراً فيه وأن أصبح من الآن وصاعداً ممثلة.

- وعمّا يتحدّث؟

- إنه قصة أولاد يعيشون في مدينة الأكواخ.

- وكم سيستغرق التصوير؟

- أربعة أيام بالتحديد. وخمسة كحدّ أقصى. سأعود لأصطحب روبينا خلال الأسبوع.

تحدّث بارفيش وأبا عن المال، لكنني كنت أعرف أن ليس للأمر أي اعتبار: فقد بلغت بي السعادة حداً يدفع بوالدي إلى القبول حتى ولو لم تعرض عليّ سوى مئة روبيّة. وعلى أي حال فإن أبا لا يفقه شيئاً في السينما ولا يعرف كيف تسير أمورها

ولا إذا كنت قد حظيت بدور مهم. وليس لديه، بالتالي، خيار كبير: عليه أن يثق ببارفيش حتى النهاية.

سألته، وأنا أصيح من الفرح: «كيا رول هاين ميرا؟» (وما هو دوري؟)

- ستلعبين دور فتاة فقيرة. وهو ليس الدور الرئيسي لكنه دور مهم. وسترين: لقد وظّفوا الكثير من الممثلين لهذا الفيلم، لكنهم لم يختاروا سوى ثلاثة أولاد. وقد اختير أزهار أيضاً.

أزهار؟ أصبحت في الحقيقة أعرفه بعض الشيء الآن، لكن لا تبدو عليه كثيراً ملامح البطل. وأردت، قبل مغادرة بارفيش، أن أعرف اسم الفيلم لأتباهى أمام رفيقاتي وأخبرهن أنني سأكون نجمة إنتاج أجنبي! وسألته:

- بيكتشور كا نام كيا هاين؟ (ما اسم الفيلم؟)

- سْلام دوغ مليونير.

- سليم داغ ميللي نير؟ يا له من عنوان مضحك!

لم أعرف ما يعنيه، لكن هل من أهمية لذلك؟ إنه لشيء جميلٌ جداً أن أجد نفسي أمام الكاميرا حيث أُعامل كنجمة.

«انتباه، تصوير!»

نعم، أنا على أتم الاستعداد للدخول في عالم أحلامي!

٣

صمتاً.. إننا نصوّر!

بدأ التصوير مطلع كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧. كان الطقس، في ذلك اليوم، شديد الحرارة، وقد ركبنا الحافلة مع بارفيش وأزهار وأمّه. وها نحن، بعد أيام وأيام من تجارب الأداء، ننتقل إلى الأمور الجدّية. التقينا في مكان التجارب نفسه، حيث كان لوفلين وداني في انتظارنا. والتقينا في المكان صبيّا آخر من عمرنا، هو آيوش، ويأتي من ضاحية مومباي. لم يخبرنا أحد بعد عن موضوع الفيلم، أو يعلمنا بالدور الذي اختير لنا، غير أننا عرفنا أن للأمر علاقة بمدينة الأكواخ في مومباي. جالت بنا لوفلين أولاً في المكان، ودلّتنا أين يوجد الطعام، والحمّامات، وزاوية الاستراحة. عاملنا الجميع بعناية كبيرة، كما لو أننا شخصيات مهمّة. ثم شرحت لنا لوفلين ما يريدنا الفريق أن نقوم به:

- إليكم الأمر، في هذا الفيلم توجد ثلاث شخصيات مهمّة: جمال البطل؛ وسليم شقيقه؛ والبطلة لاتيكا. وستلعبون

ثلاثتكم أدوار هذه الشخصيات الصغيرة. أنت يا آيوش ستلعب دور جمال؛ وأنت يا أزهار دور سليم؛ وأنت يا روبينا، ستكونين لاتيكا. هل فهمتم؟

- نعم، نعم، فهمنا جيداً جداً.

- الأمر سهل بالنسبة إلى المَشاهد: فقد تمرّنتم على جزء كبير منها في خلال التجارب. سنطلب منكم فعل الأمر نفسه مرة أخرى، والفارق الوحيد هذه المرة هو وجود الكاميرا. تيك هاي؟ (مفهوم؟)

طبعاً يوافقنا ذلك! فقد كنا، آيوش وأزهار وأنا، على أحر من الجمر لمعرفة كيف يكون مشهد التصوير الحقيقي. وقد تم تقديمنا إلى أشخاص آخرين من الفريق، ومن بينهم المُفضّلة عندي، ناتاشا. أردت على الفور أن أصادقها: وبما انها اختصاصية التجميل فسيمكنها أن تعلّمني كيف أكون جميلة كما في الفيلم. وقد ساعدتنا ناتاشا أيضاً كثيراً في كل شيء. كذلك كانت لوفلين دائمة الحضور في الجوار لتتأكد من أن كلّ شيء يسير على ما يرام.

- إذا كانت لديكم أسئلة، أو احتجتم إلى أي شيء، فلا تتردّدوا في المجيء لرؤيتي.

- بماذا سنبدأ؟

- سنقوم أوّلا ببعض التجارب على الكاميرا ثم نباشر بمشهد فَرِحٍ. عليكما، يا روبينا وآيوش، أن تظهرا أنكما

متوافقان، إنها ولادة حب طاهر جدّاً سيوّحد بينكما حتى نهاية الحياة، حتى لو أنكما لا تعرفان ذلك بعد.

ولادة حب طاهر جدّاً؟ آه... لست متأكدة من أنني أعرف ماذا يعني ذلك. غير أنه راودتني رغبة في المحاولة، لأرى. لم يسبق لي أن دخلت استوديو تصوير من قبل. يوجد الكثير من الأشخاص المنشغلين كلّياً بأمور مختلفة، كالتأكد من الإضاءة، حيث يتعارك البعض مع أشرطة الكهرباء فيما يركض آخرون في كل مكان ولا أدري لماذا. لمّا وجدت نفسي في وسط المسرح وعشرات الكاميرات والأضواء من حولي أُصبت بالتوتّر وببعض الخوف. إلى ان قال العم داني:

- إننا نصوّر!

بدا عندها كما لو أن كل شيء كفّ عن الوجود من حولي. لم تزعجني أبداً أنظار الجميع المتجهة إليّ. وأخذتُ، في المشاهد التي لا أمثّل فيها، أنظر إلى آيوش وأزهار. وهكذا عرفت انهما يحوزان على دورين مهمّين، بيد أنني البطلة رغم ذلك. وسرعان ما لم نعد نفترق نحن الثلاثة. وأخذنا، بين لقطتين، نركض ونطرح الأسئلة على المصوّرين ونلعب لعبة المطاردة وسط الديكورات. شعرنا بالفضول، وأردنا معرفة كل شيء عن الاضاءة، والكاميرات، والكواليس... كان الجو رائعاً على المسرح وكان الفريق فائق اللطف معنا. ويأتي في الغالب من يسألنا:

- ألستم بحاجة إلى شيء؟ ألستم جائعين؟

لم أشرب هذا الكم من الكوكا كولا، أو أتناول هذا القدر من المثلجات في حياتي! وأمضيت الكثير من الوقت مع ناتاشا التي أخذت تعرض أمامي كل المنتجات من المساحيق، إلى أحمر الشفاه، إلى كحل العيون، وأذنت لي بتجربتها. وما إن تتوفّر خمس دقائق لداني حتى يمضيها في اللعب معنا. أحببت كثيرا لعبة ردّة فعل اليدين: يرفع داني يديه إلى مستوى وجهي، وقد أدار راحتيه صوب الأرض، وكان علي أن أجرب ضربهما قبل أن يسحبهما. وينتهي الأمر دوماً.

حرصت لوفلين على أن تشرح لنا كل مشهد قبل تصويره. وهذا في الواقع سهل جداً: فقد سبق، كما قالت لنا، أن أعدنا ذلك مرّات كثيرة خلال تجارب الأداء. وإذا ما نسينا النصّ أو استغرقنا في ضحك مجنون في وسط الحوار، لا يوبّخنا الفريق ويحاول داني طمأنتنا.

- هل أنت متعبة؟ أتريدين الاستراحة بعض الشيء قبل المواصلة؟

غير أن الأمر كان في بعض الأحيان صعباً ومتعباً، مثل مشهد الشتاء وهو، بشكل قاطع، أقل تسلية منه في التمارين: انهمرت عليّ أعاصير الماء بشكل مستمر، أشبه بالمطر الحقيقي، بفضل نوع من الآلة المخفية وراء الديكور. والنتيجة هي أنني تبللت بشكل كلّي وتام! وقد تأخّر بنا الوقت في اليوم الذي صوّرناه فيه وحلّ بي التعب. اختبأ آيوش وأزهار تحت سقف مهجور. وتطلّب مني الأمر، في الفيلم، أن أقف جامدة تحت

المطر، غير بعيدة كثيراً عنهما، ثم أن أجلس القرفصاء وأرسم أشكالاً في الوحل مستخدمة قطعة خشبية، ومظهري بائس، إلى أن يوسّعا لي مكانا صغيراً في ملجئهما. ما إن تلقّيت أولى قطرات الماء حتى فاجأتني حرارتها التي كانت جليدية! ثم تحوّلت النقاط إلى زخات مطر عنيفة، مثل أمطار الرياح الموسمية. أمطرت بكثرة لدرجة وجدت معها صعوبة في إبقاء عينيّ مفتوحتين.

- أوقفوا التصوير!

اندفعت، عند هذه الاشارة، إلى المعاونين الذين لفّوني فوراً بمنشفة كبيرة لتجفيفي. واستقر أزهار وآيوش في كوخهما مرتاحين يسخران من شكلي الأشبه بالكلب المبتل. اعتقدتُ أننا انتهينا من الأمر، لكن لوفلين قالت:

- كان ذلك جيّدا جدّاً، يا روبينا، لكننا سنعيده، أموافقة أنت؟

ويحي، كنت أفضّل تفادي ذلك! فقد ظلّت عيناي، بالرغم من المياه الجليدية التي تسقط عليّ، تغمضان لوحدهما: كم أردت أن أغفو، أو حتى أن أجلس على غرار أزهار وآيوش. وما إن يصيح العم داني «أوقفوا التصوير!»، حتى أركض إلى دفّاية كهربائية إضافية صغيرة وضعها أحد المساعدين على مقربة من مسرح التصوير. وأضع يدي فوق نفحة الحرارة، وما إن أبدأ في الشعور بالدفء حتى أسمع العم داني يصيح:

- It was really good! OK... let's do it again! (كـان ذلـك جيّداً بالفعل! حسناً. . . فلنفعل ذلك من جديد!)

سرعان ما أخذت أفهم بعض الكلمات الإنكليزية وعرفت ما قاله داني للتو: «سنعيد المشهد!» ادّعيتُ عدم الفهم لأكسب المزيد من الوقت قرب الدفّاية، ومن ثم أعود. كان ذلك المشهد هو الأصعب في التصوير. وهناك أيضاً المرّة التي أطبق أحدهم فيها الباب على إصبعي. غير أنه كان يوجد طبيب في مكان التصوير وضع لي ضمادة. على أي حال، نحن نمضي وقتنا كله في مدينة الأكواخ نقع ونؤذي أنفسنا، وبالتالي لم يزعجني ذلك حقّاً. وكانت المشاهد الأخرى أكثر سهولة. وكنّا، آيوش، أزهار، وأنا أقوياء بنوع خاص في التصوير الخارجي في دارافي، وهي مساحات شاسعة جداً، وفيها الكثير من الناس والدكاكين المنتشرة في كل مكان، بحيث يسهل الضياع فيها. وكانت الكاميرات هي التي تجد صعوبة في متابعتنا عندما يُطلب منّا الركض في شوارع دارافي الضيّقة! ونحن اعتدنا على القفز حفاة في بركة صغيرة من المياه الآسنة، وعلى الركض بين البقر والناس في ممرات ليست واسعة كفاية لجميع الناس! بدا الأمر وكأننا نلعب الغمّيضة أمام منازلنا، إلا أن علينا معاودة الطريق نفسها عدداً لا يُحصى إلى أن يرضى العم داني باللقطة.

ما طُلب منّا، في الواقع، هو أن نمثّل حياتنا بعض الشيء. فالتواجد وسط القمامة، مع الجرذان والصراصير، والأكواخ، والمجارير المفتوحة، هو في صلب حياتنا اليومية. لكنني، على

عكس أبطال الفيلم، لم أجمع النفايات أبداً، بل قام أزهار بذلك لكسب بعض الروبيات. أما المراحيض العامة، التي يظهرها العم داني في الفيلم، وهي كناية عن أكواخ زيد من ارتفاعها على قضبان خشبية موضوعة فوق مصرف مثير للقرف، فهي موجودة فعلاً في دارافي. وكان مشهد جمال الذي احتجزه شقيقه سليم في المرحاض، وهروبه من ثقب التصريف المقصوص في الأرض، هو من أكثر المشاهد التي صوّرناها إضحاكاً. نشاهد على الشاشة الصبي الصغير (جمال) وهو على استعداد للقيام بأي شيء للذهاب وطلب توقيع نجمه المفضّل أميتاب باكشان... بما في ذلك اضطراره إلى القفز من ثقب المرحاض. لمّا أَطْلَعَتْ لوفلين آيوش على الأمر قطّب في البداية حاجبيه: من غير الوارد بالنسبة إليه القفز في كومة من البراز! وأخذنا، أزهار وأنا، نضحك ونسخر مما سيضطر إلى القيام به، ونحن مسروران لأننا لا نمثّل في ذلك المشهد. لكن لوفلين بادرت إلى طمأنته.

- ما من داعٍ للذعر، يا آيوش! أتريد أن تعرف بماذا ستسقط؟ سألته وهي تنظر إلينا نضحك.

- في الحقيقة، نعم...

- الشوكولا!

- أهذا صحيح؟

- نعم، ليترات كثيرة من الشوكولا!

شعر آيوش باستثارة فائقة، بعدما صعب عليه تصديق الأمر في البداية. والحقيقة أن الجميع تلمّظوا سلفاً. توقّفنا، أزهار وأنا، فور ذلك عن السخرية وأسفنا لأننا لا نصوّر مشهداً كهذا. شكّل تحضير المزيج على مسرح التصوير مسألة ذات شأن! فقد سكب المساعدون في أحد القدور عدة كيلوغرامات من الشوكولا والزبدة والنعناع، وحرّكوها على مدى ساعات وهم يذيبونها على نار خفيفة. وقد عبقت رائحة الشوكولا الطيبة على بعد عشرات الأمتار الدائرية، ولم تراودنا سوى رغبة واحدة وهي الإلقاء بأنفسنا فيها والتهام كل شيء. وأنا، في بندرا، أتناول حبوب السكاكر، لكن معظمها بطعم الفاكهة، ويندر أن تكون بالشوكولا. أما هنا، فقد بدا الأمر على درجة كبيرة من الطيبة بحيث بقيت في جوار القدر، وقد سال لعابي.

ما إن جهزت الطبخة حتى رجونا داني أن يدعنا نتذوّقها. نظر إلينا، ووافق.

- هيّا، على حسابي! يمكن للجميع الحصول على القليل! صاح وهو يركض صوب القدر.

واندفع أعضاء فريق الإنتاج الآخرين أيضا لملء طاساتهم. هممممم! كم هو لذيذ... فحتى داني نفسه استمتع، وشاهدته يلحس أصابعه قبل أن يعود إلى العمل.

- هيا، الجميع إلى مواقعهم! لا يجب على المزيج أن يبرد!

كنت وأزهار على استعداد للتخلّي عن كل شيء لنحل محلّ آيوش! وقد أشعرَنا آيوش جيّداً بأنه سعيد لسقوطه في قدر

الشوكولا. اخترنا موضعاً استراتيجياً لمشاهدة اللقطة، بحيث لا تفوتنا أي ذرّة من المشهد. ووجد آيوش، المقرفص فوق ثقبه، صعوبة في الاحتفاظ بمظهره الجدّي.

- إننا نصور!

خفض آيوش رأسه، ونظر من الثقب المُستخدم كمرحاض، وتردّد عند هذا الحد في القفز، لكن القفز يشكّل مع ذلك فرصته الوحيدة في الحصول على توقيع نجمه المفضّل. سدّ أنفه، كما جاء في النصّ. ومتنا، أزهار وأنا، من الضحك ونحن نراه يقوم بحركات وجهه. وكلّما زاد آيوش منها، كلما كافحنا للبقاء هادئين. وذلك رهيب لأن إخراج اللقطة معقّد، ويعرف الجميع، وطبعاً آيوش على وجه الخصوص، بأنه ليس في الإمكان سوى تصوير لقطة واحدة. وسيغضب داني كثيراً إذا اضطر إلى إعادة المشهد لأننا ضحكنا بقوة... واضطررنا، أزهار وأنا، حتى لا يتم سماعنا إلى وضع أيدينا على فمنا. وانتهى آيوش من ثمّ إلى القفز، مباشرة في قلب الهدف، وقد لطّخ الكاميرات عرضاً بالكثير من الشوكولا.

أوجعني بطني، ووجدت صعوبة في التنفّس، لقدر ما منعت نفسي من الضحك. وأبقيت يدي ملتصقة بفمي إلى أن صاح داني «أوقفوا التصوير!» فانفجرت وأزهار في ضحك استحال علينا وقفه. لم يجرؤ آيوش، وهو يقطر شوكولا، على الحراك في انتظار التعليمات. وأغرقنا في الضحك أكثر من ذي قبل أمام منظر رفيقنا المضحك. وأخيراً، قال داني: «هذا جيّد، إنه

رائع!» فشرع آيوش، الذي انشرح صدره، في الدخول في اللعبة وفي لحس نفسه كالهرّ وهو يفعل «برررركككك...» وهذه هي أكثر الذكريات فكاهة التي أحتفظ بها من التصوير! وأنا، حتى الآن، يضحكني الأمر جداً عندما أفكّر به، وتبدو اللقطة حقيقية عندما أعاود مشاهدتها في السينما!

مضى ما يقارب الأسبوعين على بدء التصوير. أدرك داني، سريعاً جداً، أن خمسة أيام لا تكفي لتصوير كل المشاهد معنا. فالتصوير داخل مدينة الأكواخ أكثر تعقيداً من المتوقّع بسبب الوجود الدائم للكثير من الناس في المكان من الذين لا يفترض بهم الظهور في الفيلم. كما أن الحرّ أعاق الأمور أكثر، لأنه توجب إعادة تبريد الكاميرات مرّات عدة في اليوم من خلال وضعها في جيوب ملأى بالثلج. والنتيجة هي أننا لا نصوّر إلا ساعتين أو ثلاث ساعات في اليوم على أبعد تقدير بالرغم من وجودنا في المكان من الصباح إلى المساء.

والغريب أن واحداً من مشاهدي المفضّلة (والمشهد المفضّل لأبي) هو مشهد القطار. الأمر سهل على الورق: يهرب الأبطال الثلاثة، جمال، سليم، ولاتيكا من الميتم الرهيب لتفادي أن يقطع المسؤول عن المكان ساقهم أو يفقأ لهم عيناً من أجل إرسالهم للتسوّل، وهو ما يحصل لأولاد الميتم الآخرين. لاحقهم المتاجرون بالأولاد، فركضوا بمحاذاة خط السكة الحديد ليقفزوا في القطار الذي يسير. نجح جمال وسليم في الدخول إليه، لكن ليس لاتيكا الأقل سرعة من رفيقيها. توصّلت

إلى الإمساك بيد سليم، لكن الأخير أفلتها في اللحظة الأخيرة. وكان القطار المستخدم للتصوير حقيقيّاً جدّاً. ولما رأيته ابتلعت ريقي: لم يكن الركض بجانب القطار هو ما يخيفني، بل الإمساك بيد من هو عليه! وماذا لو تعثّرت؟ وحاولت لوفلين طمأنتي:

- لا تقلقي، فهذا القطار سيسير على مهل. والجميع موجودون هنا للتأكد من أنك لن تصابي بأذى. أنت لا تخاطرين بشيء البتة، وما عليك سوى أن تركضي بسرعة وتركّزي.

تحدّث داني معنا طويلاً قبل الشروع في العمل، ليكون كل شيء واضحاً للجميع. وكان الأمر إلى حدّ ما أكثر تعقيداً بالنسبة إلى أزهار وآيوش: فعليهما بالفعل أن يتسلقا القطار وهو يسير. لم يرغب أزهار إلا في أمر واحد: وهو البدء بأسرع ما يمكن لأن ذلك يسلّيه. ولما رآني خائفة سخر مني.

- شاباتي، درّ لاغتا هاي ترينز سين؟ (ماذا، يا وجه الحلوى، أتخافين من القطار؟)

أصبح الأمر عادة... فأزهار، منذ البداية، لا يفوّت مناسبة لقول أي شيء. وهو وأنا نمزح كثيراً في العادة، لكنه لا يستطيع الامتناع عن مضايقتي، ليس إلا لمجرّد إثارة توتّري.

- هاي، يا وجه القرد، ستدفعين بكل شيء إلى الفشل!

وتؤدي الأسماء السخيفة، حتماً، إلى إثارة غضبي. ولا

توبّخ والدة أزهار ابنها أبداً. وهي هنا في كل يوم لكنها لا تقول شيئاً. تكتفي بالجلوس طوال النهار وهي تشرب أكواب الشاي. وكان داني يُذكّر أزهار دوماً بتحسين سلوكه، لكنه لم يفقد السيطرة على أعصابه أبداً.

- اهدأ يا أزهار، ستتسلّى بعد انتهاء اللقطة!

ولم يكن، برأيي، التوبيخ المهذّب يسيء إليه. وعلى أي حال، في ما يتعلّق بي، لم أتردد أبداً في أن أجاوبه أو أتعارك معه عندما يناكفني.

ومشهد القطار هذا هو النوع نفسه تماماً الذي نراه في أفلام بوليوود. وقد أسعفني الحظ في إنجازه: إذ تم الاكتفاء بتصوير واحد. وتبيّن في النهاية أن الركض إلى جانب القطار أسهل بكثير مما تصوّرت، بالرغم من أنه ليس عمليّاً بوجود الصندل في رجلي. وانقطعت أنفاسي في النهاية، وهو ما تسبب لي ببعض الاستهزاء من أزهار. فانتقمت في مشهد الميرشي (الفلفل). وهو يحصل، في الفيلم، عندما يكون الأبطال الثلاثة في ميتم الأولاد الشحاذين. فسليم، وهو شخصية الأخ الأكبر التي يلعبها أزهار، أصبح المدَلل لدى المسؤول عن الميتم، فيلعب من أجله دور القاسي بهمة أكبر مما يتقبلها الآخرون. فتقرر لاتيك وجمال تلقينه درساً جيداً: ينتظران الليل، وبعد أن ينام الجميع، يأتيان ويدسّان الفلفل في ثيابه الداخلية. واحزروا من كُلّف بالعمل؟ لاتيكا... أي أنا! آه! آه! بات ثأري في متناول يدي... وخفف أزهار من لعب دور الماكر لأنني سأضع

فلفلاً على «حمامته»[1]. لم يُسرّ لقيامه بهذا المشهد. لم نتوقف، آيوش وأنا، عن الهزء منه فيما المساعدون يحضّرون للمشهد.

- أزهار كين بانت مين ميرشي! (الكثير من الفلفل في سروال أزهار!)

- هاي، أزهار، هل تحب الطعام بالتوابل؟ هل تريد قرن فلفل صغير؟

مات الجميع من الضحك إلا أزهار، الذي لم يتوقّف عن التذمّر وهو يسأل لوفلين:

- يه ميرشي باهوت غرام توه ناهي هاين نا؟ (أمتأكّدة أنت أنها لا تلذع كثيراً؟)

- طبعا يا أزهار فقد اخترنا فلفلاً حلواً جداً. لن تشعر بالكثير، هذا وعد.

أخذ الجميع مواقعهم أخيراً. واستلقى الأولاد الآخرون المشاركون على حصائر على الأرض، وهم يلتصقون ببعضهم البعض. ونام أزهار في وسطهم، وهو غير مطمئن كلّياً.

- صمتاً، إننا نصوّر!

على الجميع أن يدّعوا النوم، غير أنه أمكن سماع بعض الضحك المكتوم من هنا وهناك.

---

(١) حمامة: لفظة تُطلق على العضو الذكري للطفل.

- سكوت! اهدأوا أيها الأولاد، قلت إننا نصوّر!

وجدنا جميعاً صعوبة في الحفاظ على جدّيتنا. حتى أن أزهار نفسه لم يستطع الامتناع عن الانفجار بالضحك. وتطلّب الأمر وقتاً قبل أن يعمّ الصمت. في المشهد تنهض لاتيكا وتسير على رؤوس أصابعها إلى حصيرة سليم، وتدس له بهدوء الفلفل الصغير الأحمر في سرواله، وتعود سريعاً إلى مكانها في انتظار أن يفيق سليم تحت تأثير الحرق. كان عليّ، وأنا أنفذ ذلك، أن أبدو بمظهر المتآمرة، على أن أنفجر ضاحكة بصوت مرتفع في النهاية. وغني عن القول أنني لم أحتج إلى التظاهر، ولا الآخرين أيضاً. فلما قفز أزهار من فراشه وهو يصيح من الألم، أفاق جميع الأولاد وهم يضحكون بصخب ويشيرون إليه بالإصبع. قفز أزهار، عارياً تماماً، وركض كالمجنون إلى الحمام وسكب الماء الباردة بين فخذيه، وسط استهزاء الممثلين الآخرين.

Chillies on his willy! Chillies on his willy! (الفلفل على حمامته! الفلفل على حمامته!)

ونصّ السيناريو على السخرية، غير أننا انفجرنا جميعاً في ضحك جنوني عن حق! وأعترفُ ان أزهار مثّل الألم تمثيلاً رائعاً. كان عليك رؤية منظره، مع فمه الفاغر وعينيه اللتين تدوران في كل الاتجاهات! ويا لمنظره المضحك وهو عارٍ تماماً! ومن يومها لم أكف عن السخرية منه.

أفادتني تماريني مع ابنة عمّي روكسار عندما صوّرنا، في

النهاية، أحد مشاهد الرقص. عشقت القيام بخطواتي الراقصة على أنغام أغنية رينغا رينغا، حيث أغني وأنا أرقص على السكة الحديد: كان ذلك جيّداً جداً. واكتفيت بأن أسمع الأغنية مرّة واحدة لأحبّها، ولم يلزمني المزيد من الوقت لأتعلم كلماتها غيباً. وقد أخذ داني لقطات كثيرة لأنه احتاج إلى زوايا مختلفة. لم يزعجني ذلك، بل أمكنني، على العكس، إعادتها مرات ومرات. أخذت أغني وأرقص، تماما كممثلات بوليوود. وشعرت بإثارة بالغة للعب دور في مشهد يشبه الأفلام التي أشاهدها في العادة. وقلت في نفسي إنّ الجمهور سيتسمّر في مقعده وهو يستمع إلى الأغنية ويشاهدني أرقص.

وها أنا... منذ الوقت الذي أخذت أقلّد فيه الممثلات والمغنيات، قد حصلت على أغنيتي. ولما عدت إلى منزلي في المساء، هرعت إلى عند روكسار لأريها الخطوات الراقصة. وقد اعترتها الإثارة نفسها التي اعترتني. وحاولت، على الفور، القيام بالخطوات، إلى جانبي. وأخذ عمي وزوجته يضحكان وهما يشاهداننا نرقص وسط الغرفة. وبعد ذلك بعشرة أيام، وفي محطة فيكتوريا، وهي المحطة الضخمة في مومباي، صوَّرْنا، مع كل فريق الفيلم، كليب النهاية مع أغنية جاي هو. وأصبحت لديّ بالنتيجة أغنيتان لحسابي. أراد أبناء عمّي، بشكل قاطع، تعلّم الكلمات والخطوات، فأمضيت سهريات كثيرة أعلّمهم كيف يفعلون.

أخذت، في كل ليلة أعود فيها من التصوير، أخبر عائلتي

عن مشهد النهار. وقد أُعجب شقيقي كثيراً بمقلب الفلفل فمات من الضحك وهو يتخيّل سرواله مليئا بالميرشي ويقول لنفسه بشكل خاص إنها مزحة جميلة يمارسها على رفاقه. لكنني أحدثت التأثير الأكبر عندما أخبرتهم أنني التقيت أنيل كابور. وأنيل كابور سوبرستار في الهند، مثّل في العشرات والعشرات من الأفلام، وشاهدت الكثير منها في السينما وعلى التلفاز. واقتنعوا جميعهم، بدءاً من هذه اللحظة، أنني أمثّل في إنتاج عظيم.

يلعب أنيل كابور، في فيلمنا، دور برم كومار، مقدّم لعبة «كاون بانيغا كروريباتي؟» (من سيربح المليون؟) وبما أن التصوير استغرق وقتاً أكثر من المتوقّع، شرع داني في العمل مع الممثلين البالغين. ويحصل أن نلتقي على مسرح التصوير بديف باتيل وفريدا بينتو اللذين يلعبان دوري جميل ولاتيكا وقد أصبحا أكبر سنّاً. وهكذا شاهدت أنيل كابور شخصيّا للمرة الأولى. وأعاد الإنتاج تركيب ديكور برنامج الألعاب التلفزيوني، مع مقاعد لاستقبال من يلعبون دور الجمهور. ويستطيع أي كان المجيء للمشاهدة عندما تصوّر الكاميرا وسط المسرح. وغني عن القول أنني لم أكن لوحدي: أراد الجميع مشاهدة أنيل كابور! وهو في المقابل لم يعرفني: لم يعرف إلى أي حد دوري مهم. لم أحظ في ذلك اليوم بفرصة طلب توقيعه، لكنني أملت في أن أجد مناسبة أخرى قريبة. وعلى أي حال، فإن مجرّد رؤيته كان رائعاً. وفي المنزل ألحّ عليّ الجميع بالأسئلة:

- أنيل كابور لاغتا هاي؟ (ماذا يشبه أنيل كابور؟)

- ماست كيا؟ (أهو جميل؟)

- روبينا، توه أنيل كابور سين بآت كي؟ (هل تكلّمت مع أنيل كابور، يا روبينا؟)

أثار الأمر وقعاً جيداً لدى والدي وعمّي بنوع خاص.

- أنت إذاً تلتقين المشاهير! يُقال أنك تعيشين حياة نجمة! قال لي والدي بإعجاب.

فقد نشأ، هو وأخوه، على مشاهدة أفلام أنيل كابور. وأحد الأفلام المفضلة لدى والدي هو مستر إنديا الذي يستخدم فيه أنيل كابور أداة ما تجعله خفيّاً.

أحببت كثيراً أيضاً فريدا بينتو وديف باتيل. وكانت فريدا لطيفة معي إلى أقصى حد، وكنّا نمزح معاً؛ إلا أن ما يعجبني بصفة خاصة هو رؤيتها وهي تستعد لمشاهدها.

كان والدي على حق. فهذا التصوير هو حلم أردته ألاّ يتوقف أبداً. لم يمر يوم واحد من دون أن أتسلّى كالمجنونة. وفي ختام ثلاثة أسابيع من العمل معاً، جمعنا داني ليتحدّث إلينا. وترجمت لوفلين:

- انتهى التصوير أيها الأولاد، ولدينا كل ما أردناه. وعليّ الآن الاهتمام بالكبار. أشكركم، فقد كنتم رائعين!

- . . .

عرفت بأن هذا اليوم سيأتي، لكنني أملت في أن يأتي في أبعد وقت ممكن. فنحن، وعلى مدى شهر، انخرطنا كثيراً جداً في الفيلم. واعتدنا على الحياة في مسرح التصوير. وشعرت بالغرابة لتركي داني، ولوفلين، وناتاشا، وباقي الفريق. كان الجميع لطفاء للغاية... لم أستطع إبعاد الشعور بحزن هائل لفكرة التخلي عن ذلك كلّه. ومن المؤكد أنني سأفتقد إلى الوقوف أمام الكاميرا وإلى معاملتي كنجمة.

- «لا تشعروا بهذا القدر من الاستياء!»، قال لنا داني وهو يأخذنا بذراعيه. «ألا ترغبون في أن تنظروا إلى أنفسكم بإعجاب على الشاشة الكبيرة؟»

- بلى!

- سترون، ستدهشون أنفسكم!

- هوم كاب ميليج؟ (متى سنلتقي من جديد؟)

- قريباً! لم ينتهِ التصوير وسأبقى في الهند لبعض الوقت. أعدكم بأننا سنلتقي بشكل متكرّر جداً.

بعودتي إلى مدينة الأكواخ، لم يرجع أي شيء إلى سابق عهده، فلم أعد أرغب في تناول المثلجات، والشوكولا، والمشروبات الباردة. ووجدت صعوبة في إعادة التأقلم مع الحياة في بندرا.

ومن حسن الحظ أن بارفيش جاء بعد ذلك ببضعة أيام لاصطحابنا من مدينة الأكواخ.

- داني في انتظاركم. أعتقد ان لديه مفاجأة صغيرة لكم.

لم أطق صبراً على رؤية أصدقائي الجدد والعم داني. ثم إن هناك مفاجأة؟ لم يسبق لأحد أن قدّم لي مفاجأة! انتابني فضول شديد لمعرفة ماهيتها. وما إن عدنا في ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر إلى استديو «إينديا تيك وان» حتى كان سانتا كلوز في استقبالنا!

سبق لي أن رأيت سانتا كلوز، ولكن على التلفاز فقط. ففي منزلنا لا نحتفل بعيد الميلاد، فهو يوم كأي يوم آخر، ولكن سبق لي أن سمعت بهذا العيد الذي يتم فيه توزيع هدايا على الأطفال. حصلنا آيوش وأزهار وأنا على أقلام تلوين، وسكاكر، وبعض الألعاب. وبعد ذلك ببضعة أيام، لمناسبة رأس السنة، بعث العم داني وراءنا إلى مكتبه ليقدّم لنا المزيد من الهدايا. وأنا أعشق اللعب مع العم داني والطريقة التي يبتسم فيها طوال الوقت. وقد حصلت على ألعاب للشاطئ وملصقات فوسفورية تلمع في الليل. وسررت جداً، لأنه من النادر أن تُقدّم إليّ الألعاب. غير أنني سعدت أكثر ما يكون لأن داني لم ينسنا.

٤

سأتعلّم الإنكليزية

- إذا لم تتكلّمي سوى الهندية فلن يصبح لك شأن في بوليوود. لأن على كل من يريد النجاح في هذه المهنة أن يتعلّم الإنكليزية.

مضى بعض الوقت على انتهائي من تصوير «فتى الأزقّة المليونير» وعادت حياتي إلى سابق عهدها. إلا أنني أصبحت بعدها أكثر ثقة بالنفس.

حدّثنا العم داني، في وقت باكر جدّاً، عن أهمية الذهاب إلى المدرسة: الأمر، عنده ضرورة أوّلية، بل إنه الفرصة الوحيدة أمامنا للخروج من مدينة الأكواخ وعيش حياة طبيعية. ولا يتحدّث أحد عندنا الإنكليزية باستثناء ابنة عمي روكسار. فقد فضّل والدي تعليمنا الأردو، لغة القرآن. وبما أن المدارس الإنكليزية أكثر كلفة بكثير، ولا يوجد أي منها أبداً على مقربة من مدينة الأكواخ، لم أفكّر أبداً بأنني سأتمكن من ارتيادها. ولم يتسبب عدم تحدّثي الإنكليزية بأية مشكلة لي قبل تصوير

«فتى الأزقة». لكن عندما أخذ الجميع، على مسرح التصوير، يتناقشون في هذه اللغة، أحببت لو أمكنني فهم ما يقولون والمشاركة في المحادثة.

أدركت، عند هذا الحد، أن داني محق وأنه من المهم للمرء أن يتحدّث الإنكليزية ويكتسب ثقافة جيدة ليصبح ممثلاً ويلتقي بأناس رفيعي المستوى.

وأرى في الأفلام أنهم يعبّرون عمّا في أنفسهم تعبيراً ممتازاً، وبأنهم حسنو الأدب. ما من أحد يشتم الآخر أو يصيح في وجهه. ولا شكّ في أنهم تلقّوا علوماً جيدة، ويتحدّرون من عائلات غنيّة جداً. وهناك أمر أكيد وهو أنني لم أسمع أبداً عن ممثل نشأ في مدن الأكواخ. أدرك أزهار أيضاً أن علينا الكثير لنتعلّمه إذا أردنا النجاح. وفهمنا إلى أي حد يجب علينا أن نبذل جهوداً على أنفسنا وأن نتحسّن إذا أردنا تحقيق اختراق في هذا المجال.

وعدنا العم داني، ما إن ينتهي من التصوير، بتسجيلنا في مدرسة ناطقة باللغة الإنكليزية، ووفى بوعده. توجّه في بداية شهر آذار/مارس، مع لوفلين، إلى مركز «أسيما» لتسجيلنا، أزهار وأنا. وعلمت أن مركز «أسيما» كناية عن مدرسة بالإنكليزية للأولاد المحرومين، وهو مؤسسة يصعب جداً الدخول إليها.

استفاد داني من العيد السنوي للمدرسة لزيارة المؤسسة. التقى الأساتذة، واستخبر عن الدروس التي تُعطى، وتمكّن في النهاية من إقناع المدير بأن يقبَل بنا. اهتم العم داني بكل

الإجراءات لأن والدي لا يعرف بهذا النوع من الأمور. وفَّرَتْ لنا المدرسة البزّات النظامية الجديدة باللون الأزرق البحري، والكتب المدرسية. وأخذتُ أتأمل بإعجاب كبير هذه الكتب الجديدة ولم أتوقّف عن تقليب صفحاتها. كل شيء فيها مكتوب بالإنكليزية. وذهب داني إلى حد استئجار دراجة بثلاث عجلات من أجلنا فقط، لتأتي وتقلنا في كل صباح من مدينة الأكواخ وتعيدنا إليها مساء بعد انتهاء دوام المدرسة. لا بدّ أن السائق كلّف ألفاً وخمسمئة روبيّة! غير أنني أعتقد أن ذلك ليس بالكثير بالنسبة إلى داني. ثم أن لوفلين أصرّت كثيراً لدى أبي:

- ستتصل بك مساعدة داني، ماكسيما، بانتظام لتتأكد من أنكم لا تحتاجون إلى شيء.

تُعطى الدروس في فترة بعض الظهر على عكس مدرسة الأردو. ومنذ أيام حزيران/يونيو الأولى جاء السائق ينتظرنا في الواحدة بعد الظهر تماماً عند مخرج مدينة الأكواخ ليقود بنا إلى المدرسة. ويستغرقنا الأمر عشر دقائق للوصول بالدراجة ذات العجلات الثلاث. كنت في مدرسة الأردو أتابع الدروس في المستوى الرابع، ولأنني لا أعرف من الإنكليزية إلا القليل جداً، فضّل المدير وضعي في المستوى الأول[1]. أتذكّر في يوم الدخول أنني شعرت بالإثارة وبالتوتّر معاً. كنت مع أزهار ونحن الأكبر سنّاً في الصف الذي يضم خمسة تلاميذ. ولمّا عرف الآخرون أننا مثَّلْنا في أحد الأفلام تغيّرت مواقفهم منّا على

---

(١) ما يعادل الابتدائي الأول.

الفور. وجاء الكثيرون منهم ليطرحوا علينا الأسئلة. أرادوا أن يعرفوا إن كان من الصعب التمثيل أمام الكاميرا، وعمّا يتحدّث الفيلم، وبالأخص إذا كنا قد التقينا نجوماً. وسريعاً ما أصبح لدينا رفاق وانسجمنا بسهولة.

لا يتمكن أزهار أبداً من الصمت أثناء الحصص، بينما أواصل أنا التركيز في عملي، ولا أكاد أتناقش أبداً مع جيراني أثناء الدروس. لا أحب الحساب كثيراً، لكنني في المقابل أعشق الإنكليزية، بيد أنني اجتهدت سريعاً في كل شيء. واستعجلت لأعبّر عن نفسي مثل البالغين، وأستخدم صيغ التهذيب وأتعلّم حسن الأدب. وأنا مسرورة في الذهاب إلى المدرسة لأنه أصبح لديّ الكثير من الأصدقاء الجدد. ونحن نلعب ونناقش أمور عائلاتنا. وأتعلّم في كل يوم أمراً جديداً. وفي المساء، أكرر في المنزل على أنسبائي وأخي وشقيقتي الكلمات التي حفظتها بالإنكليزية.

«Good night. Sweet dreams» (ليلة سعيدة. أحلام هنيئة).

وسرعان ما لاحظت المعلّمة، سوماترا، جهودي، وسُرّت لسلوكي ولما حققته من تقدّم فعيّنتني رئيسة للصف. وعندما تغادر المعلّمة الغرفة، أجلس مكانها على المنبر وأراقب الجميع. بل إن لدي الحق في معاقبة التلميذ الذي يزعج الصف أو الذي لا يطيعني. وأنا آخذ دوري على محمل الجد وأشعر فعلاً بأنني المعلّمة الثانية.

ولم يزعج ذلك أحداً سوى أزهار الذي لا يُفوّت سانحة للتهكّم. ولم نعد، أزهار وأنا، أصدقاء جداً بعد التصوير. ويصدف أن ألتقيه في مدينة الأكواخ لكننا نبقي على المسافة بيننا.

وإذا تم تعييني رئيسة للصف فلأني حصلت أيضاً على علامات جيّدة جداً، على «أ» في كل المواد تقريباً، وهذا أمر جيّد جدّاً بحسب المعلّمة. وقد حصلت عمليّاً على أرفع العلامات في الإنكليزية والحساب. وأنا واثقة من أن العم داني سيفتخر كثيراً بي عندما يعرف بذلك. ولم يحصل أزهار إلا على «ب». وأنا مسرورة جداً لأنني أفضل منه.

لم أَنْسَ أنه كان يزعجني طوال وقت التصوير، وعليّ الآن أن أتحمّله في المدرسة! وهو لا يمنع نفسه، طبعاً، من تسميتي بكل أسماء أنواع الحيوانات، حتى في الصف. وما يسلّيه أكثر ما يكون هو نعتي بالـ«بندر»، أي وجه السعدان. أففف... إنه هو السعدان! فهو لا يكف، عن التعارك مع الصبية الآخرين في الملعب.

وتتمثّل لعبته الكبرى بتقليدي، في كل ما أقوله، كالببغاء. وهذا يغضبني جداً إلى حدّ أنني أرغب بضربه.

- اجلسوا!

- اجلسوا!

- اسكت، يا أزهار!

- اسكت، يا أزهار!

كم يثير أعصابي... ومن حسن الحظ وجود أنجالي، وهي فتاة في مثل عمري. صرنا لا نفترق، إلى درجة أن المعلمة خشيت من أن ننقل عن بعضنا البعض خلال الاختبارات. وانتهى الأمر بعدم جلوسنا إلى جانب بعضنا البعض في ذلك اليوم. وهذا ليس بذي شأن، لأننا نمضي ما تبقى من الوقت في اللعب معاً، وبخاصة القفز بالحبل، أو نكتفي بالثرثرة وحسب.

أخذت ماكسيما تتصل هاتفياً من وقت إلى آخر لتسأل أبي عن كيفية سير الأمور في المدرسة ولتتأكد من أنني لا أحتاج إلى شيء. وأخبرتنا، في نهاية شهر آب/أغسطس، أن «فتى الأزقة المليونير» سيُعرض في الولايات المتحدة. ولم نعرف، حينها، أن الفيلم سيُعرض في السينما في الهند، ولم أكن متأكدة حتى من أنني سأرى نفسي يوماً ما على الشاشة الكبيرة. وأخذنا، من وقت إلى آخر، نغنّي «جاي هو» مع ابنة عمّي روكسار التي تعلّمت خطوات رقصها غيباً. بل إننا علّمناها لكل من شقيقينا، عبّاس ومحسن. ولم يرغب ابن عمّي محسن سوى بأمر واحد: النجاح في اختبار الأداء والتمثيل في أحد الأفلام قبل أن يشرع في دراسة الطب.

وفي ما عدا ذلك، عادت حياتي، نوعاً ما، إلى سابق عهدها من اللعب مع الرفاق والتسكّع في مدينة الأكواخ. إلا أن الوضع في بالمنزل، المقابل، لم يكن على ما يرام بسبب تعرّض والدي لحدث سيء، ولم يعد بإمكانه العمل: فقد كسر كاحله

عندما وقع على درج العبّارة فوق السكة الحديد، على مقربة جدّاً من منزلنا. ساعده بعض الجيران على الانتقال حتى منزل جدّتي: تألم للغاية وأصبح كلّه أحمر اللون. حزنتُ كثيراً لرؤيته هكذا ولم أكفّ عن البكاء. أُجريت له عمليات جراحية كثيرة وانتهت مصاريف المستشفى والعناية إلى ابتلاع قسم كبير من الأربعين ألف روبيّة[1] التي تلقيّتها لقاء عملي في فيلم العم داني. شُفِيَ والدي، لكن كاحله لم يصلح تماماً. ولم يعد في إمكانه بالتالي ممارسة عمله كنجّار. ففي السابق كانت المئة إلى المئتي روبية التي يكسبها كل يوم في الورش تكاد تكفي ثمناً للطعام. وأحياناً يكسب أكثر من ذلك مما يسمح لنا بالحصول على بعض الكهرباء. إذ لا يمكننا العيش من دون كهرباء في مدينة الأكواخ. وبما أن المنازل من دون نوافذ فلا يوجد فيها هواء ويصبح التنفّس صعباً جداً. لم نكن في السابق مشتركين بالكهرباء بل نعلّق على خط الجيران لقاء بضعة روبيّات فنتمكن من استخدام مروحة هواء صغيرة.

أصبحت الآن موازنة الدخل والخرج صعبة. فهناك ستة أشخاص يجب إطعامهم: أنا، وجدتي، وشقيقتي، وشقيقي، ووالدي، وعمي غلام الذي يملك دكانة صغيرة للشاي لكنه لم يعد يضع رجله فيها منذ بدأ في الشرب. ولأن والدي لا يزال من دون عمل، فقد حلّ محلّه كبائع مما أتاح لنا مواصلة الحياة.

---

(١) حوالى ستمئة يورو.

غير أننا لم نأكل سوى الأمور البسيطة مثل الدال (العدس) أو الشوال (الأرز)، لأن اللحم أصبح رفاهاً. وارتفعت الأسعار كلّها وأخذت جدّتي تشتكي كل الوقت. أصبح لحم الدجاج والخروف باهظ الثمن وارتفع من أربعين إلى مئة روبيّة للكيلو الواحد، مما يعني أنني سأتناول وجبات أقل من البيراني. وبات الأمر صعب الاحتمال على والدي الذي أمّن لنا دوماً حاجاتنا.

ثم التقى والدي مونّي في منتصف السنة الماضية قبل قليل على دخولي المدرسة الإنكليزية. وهي مسلمة، مثل والدي، وفي الرابعة والثلاثين، أي أنها تصغره بعامين. انتقلتْ، بعدما تركها زوجها الأول منذ فترة طويلة، من كالكوتا إلى مومباي وبرفقتها أولادها الثلاثة. واستقرّت مونّي هناك اعتقاداً منها أنه سيسهل عليها إيجاد عمل.

يغادر الكثيرون من الهنود قراهم إلى مومباي أملاً منهم في حياة أفضل. وأشاهد عند جيراننا في كل يوم وصول أفراد جدد من عائلاتهم بحثاً عن أي عمل وضيع. وفي كل سنة يزداد عدد سكان مدينة الأكواخ أكثر فأكثر. وغالباً ما تقول جدتي:

- مومباي، سابنو كي دنيا هاي. (مومباي مكان يصيب بالحلم).

لكنني أتساءل عن عدد الذين يتوصلون من بينهم إلى تحقيق أحلامهم. وأنا مسرورة لتمتّعي بحظّ أفضل من الآخرين.

تقيم مونّي في حيّنا منذ عدة سنوات، في محاذاة كوخ عمّي. وهي تعمل في منزلٍ كبيرٍ في أحد الأحياء الغنية مع

ابنتها، ثريّا، وعمرها سبعة عشر عاماً. وتعملان خادمتين للتنظيف، وغسل الملابس، وتقطيع الخضار. ويعيش ولداها الأخيران، سانجيدا، وعمرها أربعة عشر عاماً، وأمير وعمره أحد عشر عاما، معظم الوقت مع جدتهما في إحدى مدن أكواخ كالكوتا.

في إحدى الامسيات، استوقفَنا والدي، سنا وأنا، ونحن نهم بالخروج للعب.

- ابقيا، أريد أن أتحدّث معكما.

- ما الذي يجري؟

- تعرفان مونّي، أليس كذلك؟

بالطبع نعرف مونّي. فهي غالباً ما تأتي لتزور والدي، ناهيك عن أننا رأيناهما مرات عدة وهما يتحدّثان معا في مدينة الأكواخ. وقد عرّفنا عليها والدي بوصفها صديقة.

- نعم، لماذا؟

- سأتزوجّها.

وشرح لنا أن مونّي هي التي تَعَمَّدَتْ التعرّف إليه، وأنه يعتقد بأن ذلك سيكون شيئاً جيّداً لنا. تطلّعتُ وسنا، واحدتنا إلى الأخرى: ليس لدينا أي مانع في ذلك، بل إننا في الواقع مسرورتان. فوالدانا افترقا منذ سنوات كثيرة، حتى أنني لا أتذكّر والدتي. وقد سررت جداً لفكرة وجود أم تهتم بنا وبالمنزل. أضف إلى ذلك أن اللطف يبدو على مونّي.

- نحن موافقتان، يا أبا!

تم الزواج بعد ذلك ببضعة أشهر تحت خيمة كبيرة في طرف الشارع الرئيسي. انصرفت النساء في وقت مبكر جداً من الصباح إلى الطبخ وفاحت رائحة الفراريج البرياني في كل مكان، وجاءت العائلة والجيران للاحتفال. لم يتمكن ولدا مونّي الصغيرين، سانجيدا وأمير، من المجيء من كالكوتا، لأن السفرة طويلة جداً ومكلفة. غير أنني وسنا وعبّاس تعرّفنا على شقيقتنا الجديدة: ثريّا. وهي قد عملت منذ نعومة أظفارها لمساعدة والدتها، على غرار الكثير من أولاد مدن الأكواخ. طرحنا عليها الكثير من الأسئلة عن المنزل الذي تعمل فيه والناس الذين يستخدمونها. وتشوّقت كثيراً لمعرفة كيف يعيش الأثرياء، فقد سحرتنا، عبّاس وأنا، الحياة خارج مدينة الأكواخ.

انتقلنا بعد ذلك بشهرين إلى منزل مونّي، وهو ورديّ بكامله من الداخل ونظيف جدّاً. وليس فيه سوى غرفة واحدة هي أصغر بكثير من غرفة دادي وتقع في شارع صغير عند حدود مدينة الأكواخ على مقربة تماماً من مصرف المياه المبتذلة. ويمكن رؤية مكبّ النفايات يمتدّ وراء المنزل إلى ما لا نهاية. ولا يوجد في زاوية مدينة الأكواخ هذه صنبور لجلب الماء منه. وجاءت سانجيدا وأمير، اللذان كانا يقيمان مع جدتهما في كالكوتا، للانضمام إلى والدتهما في مومباي وأقاما معنا. والنتيجة: أصبحنا ستة أشخاص ننام في هذه الغرفة. وكنت أنام دوماً مع أبا وعبّاس في جهة، وسانجيدا ومونّي وأمير في الجهة

الأخرى. أما أختي سنا فبقيت عند دادي: إذ لا مجال لدخول شخص آخر في الغرفة لأننا محشورون فيها جداً. ومع ذلك لم تتغيّر حياتنا فعلاً. وكُلّف شقيقاي بمهمة جلب الماء: توجب عليهما الاستفاقة عند الخامسة صباحاً للذهاب والوقوف بالصف وجلب عدّة سطول للاستهلاك اليومي. وقد تفاهمنا على الفور جيّداً مع مونّي التي اعتنت بنا كما لو أننا ولداها. الشيء الوحيد الذي لم تحبّه مونّي هو الضجيج، فكنت أذهب بالتالي إلى بيت عمّي لمشاهدة التلفاز.

مضى وقت طويل وأنا أطلب من والدي أن يأخذني إلى شاطئ جوهو، إلى أن قال لي أخيراً، في أحد الأيام، أننا سنذهب مع أمير وعبّاس. وركبنا أربعتنا الحافلة. ولما أنزلتنا في ذلك الشارع الكبير الذي يعجّ بالناس، ويحاذي البحر الذي طالما أثار أحلامي، اندفعتُ من بين الأزواج الذي يمسكون بأيدي بعضهم البعض، والعائلات الجالسة أرضاً بين العربات الملأى بالكاشا آم، جوز الهند والفستق المفلفل. وكان هناك أيضاً باعة لديهم نوع من القضبان من كل الألوان وبسطات ضخمة لتجار يبيعون الطعام المحَلّي مثل الباف باجي (خضار مطيّبة بالأفاويه تقدّم مع الخبز والبصل والليمون الحامض) وغيرها من الوجبات السريعة. لكنني لم أُرِدْ أن أتذوّق إلا الغولا، وهي البوظة المدقوقة وفي داخلها الكثير من الشراب. وطعمي المفضّل هو الكالا ختّا، أي التوت. وهو ما تناولْتُه. ثم تقدّمتُ صوب الماء، بالرغم من أنني سمعت والدي يركض من ورائي ويصرخ:

- روبينا، لا تنزلي، فهذا خطر!

وتصرّفت كما لو أنني لم أسمع واندفعت صوب البحر وأنا أحمل خفّي بيد والغولا بالأخرى. كان الماء بارداً والشعور بالرمل الذي ينساب بين أصابع قدميّ كان ممتعاً فعلاً.

- حاذري يا روبينا، توجد أمواج، هذا خطير!

أردت الاستفادة من كل لحظة. أردت المضي إلى ما هو أبعد، غير أن والدي أخذ يُصاب بالغضب:

- روبينا، أنت بعيدة جداً! إذا لم تعودي على الفور فسنعود إلى المنزل!

خرجت من الماء وأنا لا أرغب أبداً في ذلك، وأسفل سروالي مبلّل ومليء بالرمل. أردت اللعب في الموج والجلوس على الشاطئ لساعات، لكن لا خيار لديّ إلاّ أن أطيع.

عدت بعد بضعة أيام إلى شاطئ جوهو برفقة ثريّا، شقيقتي الجديدة. وكونها البكر فهي تتمتع باستقلال ذاتي، وأملتُ في أن يكون الأمر أكثر متعة معها. ورافقتنا سانجيدا أيضاً. نبّهتنا مونّي كثيراً، قبل أن نرحل، وطلبت منّا عدم التحدّث مع أناس لا نعرفهم. وما إن نزلنا من الحافلة حتى اشتريتُ شرائح المانغا الخضراء بالملح ومشينا عند حافة الماء. وشاطئ جوهو يعج دوماً بالناس فلم نلاحظ على الفور أن أحدهم يلاحقنا، سوى أننا شاهدنا بعد فترة رجلاً يبتسم ويؤشّر لنا. وبالرغم من أن ثريّا أكبر منّي سنّاً فإنها لم تعرف ماذا تفعل. خافت، وقامت إثر

ذلك بتسريع مشيتها وهي تمسك بيدي وبيد سانجيدا. وصعدنا، بوصولنا إلى الطريق الرئيسية، في أول حافلة تمرّ. لم أعرف ما أراده منّا ذلك الرجل، سوى أنه يمتلك ولا شكّ نوايا سيّئة. ولم نجرؤ، بعودتنا إلى المنزل، على إخبار مونّي. ولم أشأ أيضاً أن أكلّم أبي بالأمر، إذ خشيت كثيراً من أنهما لن يسمحا لنا بعد ذلك بالخروج لوحدنا من مدينة الأكواخ.

وثريا أيضاً هي التي أهدتني دميتي الأولى. جلبَتْها لي من كالكوتا بعد زيارة لجدّتها برفقة مونّي. وهي واحدة من أولى الهدايا التي أتلقّاها، إذ يندر أن يحصل المرء على دمية في مدينة الأكواخ. وهي من نوع باربي ذات البشرة البيضاء والشعر الأشقر الطويل جدّاً: انها رائعة وآخذها معي إلى كل مكان. وقد تيقّنت من أن رفيقاتي أصبن بالغيرة البالغة. وكنت أحاول كل الوقت إلباسها بشكل مختلف فأطلب من دادي أن تخيط لها ثياباً برقع من ثيابي القديمة ومن أقمشة أعثر عليها على الأرض. وفي أحد الأيام جاءت رفيقة لي لرؤيتي في ساعة القيلولة:

- هل يمكنني النوم عندك؟ فقد ذهبت أمي إلى العمل ولا أحد في المنزل.

- حسناً، لكن لا تحدثي ضجيجاً لأن أمي نائمة.

استلقيتُ أيضاً من دون المزيد من الاهتمام برفيقتي التي نامت هي أيضاً إلى جانبي. ولمّا استيقظت لم تعد باربي، التي أبقيها دوماً إلى جانب التلفاز، موجودة. أخذت أبكي وأصرخ،

وقد أحزنني فقدان دميتي الوحيدة. وشاهدتُ، بعد ذلك بقليل، رفيقتي تلعب بدمية أخرى مختلفة جداً عن دميتي بحيث صعب عليّ التعرّف إليها. فقد لطختها بمساحيق بشعة وأصبحت باربي خاصتي أشبه ببوتني، أي الشبح. بل أنها ألبستها أيضاً ثياباً لا أعرفها. غضبتُ جدا وأردت الانتقام.

- ولكن ما الذي فعلتِه بدميتي؟

- هذه ليست لك، إنها لي. ألا ترين أنها ليست نفسها؟

- هل تهزأين بي؟ إنها لعبتي وقد طليتِها بالمساحيق وبدّلتِ مظهرها!

- قطعاً لا، أأنت مجنونة أم ماذا؟

لم أصدّق أذنيّ! جاءت مونّي، التي سمعتني أصيح، لترى ماذا يحصل. فسارعت رفيقتي عندها إلى الهرب. أما أنا فواصلت الصراخ:

- جوتي، ميري غوديا لك كار شالي غايي! (إنها كذّابة، لقد سرقت دميتي!)

شكّل الأمر خسارة كبرى لي، حيث أنني لم أمتلك لعباً أبداً، وها هي الدمية الوحيدة التي لي وقد سُرقت! وقد تعاركت معها بشكل متكرّر بهدف استرجاع باربي، لكن من دون طائل. فتلك، السارقة، لم تعدها لي وأنا لم أعد أكلّمها أبداً. والأكثر

إثارة للسخط هو أنني لم أحتفظ طويلاً أيضاً بدميتي الثانية. فقد عثرتْ عليها إحدى صديقاتي في مكب النفايات وأهدتني إياها. وكانت الدمية في حالة سيّئة وينقصها نصف شعرها. لم أهتم، ووجدتها جميلة جداً.

وصلت جارة لنا إلى المنزل في أحد الأيام وهي تبكي. أخذت تئنّ وتضرب على صدرها وهي تشرح لمونّي أن فتاتها ابنة العشرين مسكونة.

- لا أدري ماذا أفعل، يا مونّي. يجب أن تأتي معي.

يوجد الكثير من الأشباح في الحيّ لأنها تنجذب إلى الأماكن الوسخة. ولهذا يوجد الكثير منها في المكبّ خلف منزلنا مباشرة. وأمّي الجديدة متديّنة كثيراً وتعرف القرآن جيّداً جدّاً. وتستطيع طرد الأرواح من خلال قراءة القرآن الكريم. رافقت مونّي السيّدة إلى منزلها لفحص ابنتها. تبعتُها، بالرغم من أنني أصبت ببعض الخوف، ولكنني فضولية. أخذتِ الفتاة، في منزلها، ترمي بنفسها إلى الأرض وهي تدير رأسها، في الفراغ، في كل الاتجاهات. قد يقول المرء إنها مجنونة، وقد أثّرت فيّ، بخاصة، عيناها الشديدتا البياض، وأنا لم يسبق لي أبداً أن شاهدت ذلك. أخذت تبكي من دون أن تسقط لها دمعة واحدة. ارتعبتُ، وجذبت، وشاح مونّي.

- مونّي، كيا هوا إيز لادكي كو؟ (قولي لي، يا مونّي، ما بها هذه الفتاة؟)

- تسكنها روح شرّيرة. وستجنّنها إذا لم نطردها.

رحلتُ بأسرع ما يمكنني، من دون أن أسأل شيئاً، وقد تخلّيت عن مشاهدة مونّي وهي تخلّصها من الروح الشريرة: فقصص الأشباح تصيبني بهلع مميت. وبوصولي إلى المنزل كانت دميتي تنتظرني في إحدى زوايا الغرفة. وقد أرعبني تفكيري في تلك الفتاة المسكونة. شرعت في اللعب بدميتي الجديدة، غير أنني، لما رأيت وجهها، راودني انطباع بأنها تنظر إليّ بطريقة غريبة. فعيناها باللون الأبيض مثل عيني الفتاة! فزعت، ورميتها فوراً إلى الجهة المقابلة من الغرفة. فقد حُكيت لي قصص كثيرة عن أرواح تتملّك الدمى. وكان جار لنا يقول لي دوماً إن الدمى تُسكن بسهولة كبيرة، وبخاصة عندما يتعلّق بها الناس كثيراً. ثم أن دميتي تأتي من المكب وهو مكان يعج بالأشباح. لم أُضع أي وقت، فذهبت ورميتها على تلّة القاذورات وراء المنزل. وقرّرت في ذلك اليوم أنني لن أقتني أبداً أي دمية. وأفضّل بدلاً من ذلك الذهاب للعب الكريكت أو الكلل، وهي ألعاب توسّخ الثياب ولكن على الأقل لن يدخل إلى جسمي أي شبح.

أصبت، بعد ما حصل، بخوف شديد، بحيث أنني كنت أطلب أن يرافقني أحد كلما أحسست بحاجة للذهاب إلى المرحاض. ففي الليل تُطفأ كل الأضواء في قطاع المراحيض، وسبق لي أن سمعت ضجيجاً غريباً فيها. واستغرقني الأمر أسابيع عدّة قبل أن أعود روبينا المعتادة من جديد.

مضى ما يقارب السنة على الانتهاء من تصوير فيلمي الأول. وشعرت وكأنه حلم راودني منذ وقت طويل جدّاً، وقد أخذ في التلاشي ببطء.

٥

بوليوود

- روبيينا! تعالي وانظري!

- ماذا هناك، يا أبا؟

- تعالي فوراً! معي ماكسيما على الخط. أعتقد ان لديها خبراً طارئاً تزفّه لك!

كنت ألعب في الوحل أمام المنزل. ولم أتلقَّ أية أخبار من ماكسيما منذ زمن طويل، فلا بدّ إذاً أنه أمر مهم. تزحلقت على منحدر صغير، وتقدّمت، وأنا أقفز على القرميد فوق المياه العكرة. أمسكت بالهاتف المحمول الذي ناولني إياه والدي، وقد اشتراه قبل وقت قليل ليتمكّن فريق الفيلم من الاتصال بنا. أعشق الهواتف المحمولة وكل الألعاب الموجودة فيها. وأعرف كل الوظائف، وكيف ألتقط صورة، على سبيل المثال، أو أصوّر فيديو. وأنا، طيلة النهار، ألتقط صوراً لنفسي، والهاتف المحمول أشبه بلعبة بالنسبة إليّ. وحقّقت

أفضل نتيجة في لعبة سيارات السباق وأنا على يقين أنه لا يمكن لأحد أن يهزمني.

وها إن ماكسيما تتصل بي. هذا رائع جدّاً!

- ألو؟

- ألو، روبينا، كيف حالك؟

- جيدّة جدّاً، أشكرك.

- روبينا، سيُعرض الفيلم في الهند بعد بضعة أيام وقد حضّرنا عرضاً للفريق. وها إنّك ستتمكين أخيراً من مشاهدته. أيعجبك ذلك؟

- آه، نعم!

- هذا ليس كل شيء. فالثاني والعشرون هو موعد العرض الأول، وأنت وعائلتك مدعوون. أتعرفين ماذا يعني ذلك؟

- كلا

- يعني ذلك أننا سنجول على المحال التجارية! فهي سهرةٌ مرموقة جدّاً يحضرها الكثير من الممثلين المعروفين والصحافيين. وستحضر القناة الأخبارية. وداني يريد أن يهديك ثوباً!

أخذ قلبي يدق بأقصى سرعة لمقدار ما اعتراني من الدهشة. كنت تحت وقع الصدمة: ثوب جديد، ومناسبة لأشاهد الفيلم أخيراً وألتقي المشاهير. هذا كثير. وصرختُ لأبي: «ميري بيكتشور مومباي ماين بي نيكالاج!» (سيُعرض فيلمي في مومباي أيضاً!)

في اليوم التالي مرّ راكش، من فريق الإنتاج، لاصطحابنا، أزهار وأنا، لشراء ما يلزمنا. سبق لداني أن أرسلنا إلى المتاجر، لكنني لم أعرف بأنه ستتاح لي فرصة جديدة لذلك. وقد اشتريتُ، في جولتنا الأخيرة، ثوبين. وسأُسرّ هذه المرّة بالقيام بعملية الشراء، ولكن لأسباب أخرى: سأشتري هذه الثياب لمناسبة خاصة جداً... إذ لم يسبق لي أن ذهبت إلى عرض أوّل. ويلزمني ثوبان، واحد لعرض الفيلم والثاني للحفلة.

إن اختيار ثوب حقيقي لنجمة سينمائية شيء لطيف جداً. أخذنا راكش إلى متجر كبير جدّاً، ذي طبقات كثيرة ومكيفات هواء. وهناك العشرات من الفساتين الجميلة، وبعضها ذو طبقات كثيرة ومختلفة، وتوجد أيضاً التنانير والجينزات. وذلك كلّه غالي الثمن. فالسوق الوحيدة التي أقصدها أحياناً تقع على مقربة منّا، لكن لا شيء فيها يشبه هذا من قريب أو من بعيد. تذهب ابنة عمّي روكسار أحياناً إلى الطريق الموصل إلى بندرا لتشتري ثوباً غالياً، لكن ذلك أمر نادر. ولا يمنع أن هذا المتجر أمر مختلف. أخذت أسير على طول صفوف تعليقات الملابس وأنا أتلمّس الأقمشة. وتملّكتني رغبة في تجربة كل شيء! وكالعادة لعب أزهار دور الأحمق وهو يأخذ وضعيات البطل الرومانسي في سترات ملوّنة. وبعد الكثير من التردّد، اخترتُ أخيراً فستاناً طويلاً أخضر ذا تطريزات مذهّبة تلمع ودوباتا (وشاح) متناسق من الموسلين ألفه حول عنقي. وقد ناسبني كما لو أنه صُنع خصّيصا لي، ثوب حقيقي لأميرة! واشترى أزهار أيضاً بِزّة هنديّة.

أخذت أمور كثيرة تحصل فجأة في حياتي... جاء من يقلّنا، أبا وأنا والآخرين، قبل يومين على العرض الأول، إلى استوديوهات الإنتاج لمشاهدة الفيلم مع باقي الممثلين وفريق التصوير. انتابني فرح عظيم لرؤية نفسي على الشاشة الكبيرة. حضر جميع الممثلين، وأيضا أعضاء فريق الإنتاج الذين أمضينا معهم شهراً كاملاً: راكيش، لوفلين ديدي، ماكسيما ديدي، وطبعا العم داني الذي احتضنني بين ذراعيه ما إن رآني. لم أعتقد أنني سأرى داني من جديد في يوم من الأيام. بدا سعيداً للقائنا، وشعرت أنا بالأمر نفسه، فأنا أحبه فعلا. ولم نستقرّ أزهار وأنا في مكان: فها نحن أخيراً سنشاهد أنفسنا على الشاشة الكبيرة. عمّ الصمت التام مع انطفاء الاضواء، ولم أعرف ما الذي أتوقعّه. ثم، ها أنا فجأة هنا، أركض بجوار القطار، وأضع الفلفل الحار على «حمامة» أزهار. التصقت عيناي بالشاشة، وأخذت أنظر في الوقت نفسه إلى الناس لأرى ردّات فعلهم. ووجدت النظر إلى نفسي وأنا أتحدّث على الشاشة وأرقص، وأقاتل، شيئاً ممتعاً. وجننت من الفرح لما جاءت أغنيتي في النهاية، لكنني لم أعرف كيف أستجيب.

تُرجمت الحوارات كلّها إلى الإنكليزية، وبالتالي لم أفهم كلّ شيء، إلا إنني تكهّنت، على التوالي، بما يحصل. فجمال مالك يشارك في برنامج الألعاب التلفزيوني «من سيربح المليون» (كون بانيغا كروريباتي؟) للعثور على لاتيكا الفتاة التي يحبّها حبّاً جمّاً. وجمال ابن مدينة الأكواخ الذي، وإن لم يذهب إلى المدرسة، يعرف الكثير عن أمور الحياة. وينجح، بفضل ما

عاشه وتعلّمه من التجربة، في الإجابة على كل الأسئلة وفي الربح. وأفضل ما في الفيلم أنه يبرهن على أن في وسع فتى من مدينة الأكواخ أن يصبح مليونيراً بالعمل الشاق. وهذا ليس، طبعاً، إلا فيلماً لكنه يمدّ بالأمل. وذُهلت لأن كل شيء بدا واقعياً. فيمكن الاعتقاد، عندما اتقوقع تحت المطر، بأنه مطر حقيقي، وليس من نتاج آلة ما، كما أن الرقصة في النهاية كانت رائعة. وبعودة الإضاءة استغرقني الأمر بعض الوقت للعودة إلى الأرض. فالأمر أشبه بحياتي أنا، ولكن بشكل أفضل! وسعدتُ جدّا لكوني جزءاً من ذلك كلّه إلى درجة عجزت معها عن الكلام. وأخذ ممثلو الفريق يتبادلون التهاني من حولي. وشعر والدي بفخر عظيم بي، وأمكنني رؤية ذلك في عينيه. ربّت الجميع على كتفي أو احتضنوني وهم يقولون: «باهوت أكشا روبينا». (جيّد جداً بالفعل، يا روبينا).

وكرروا طيلة الوقت كلمات غريبة مثل «غولدن غلوبز» و«أوسكارز». وشرحت لي لوفلين أخيرا سبب هذه السعادة الكبرى البادية عليهم:

- فاز «فتى الأزقة المليونير» منذ عشرة أيام بأربعة جوائز في الغولدن غلوبز. وهذا خبر رائع!

- يه كيا هوتا هاي غولدن غلوبز؟ (وما هي الغولدن غلوبز؟)

- الغولدن غلوبز كناية عن احتفال كبير في الولايات المتحدة يمنح الجوائز لأفضل أفلام السنة.

- كاي هاي، الولايات المتحدة؟ (ما هي الولايات المتحدة؟)

- الولايات المتحدة هي أميركا... هوليوود!

أميركا؟ سبق أن سمعت بها، لكن ذلك لا يعني لي الكثير. فأنا، وفي ما عدا كالكوتا، لا أعرف إلا مومباي التي اعتقدت أنها عاصمة الهند، لكنني لم أكن متأكّدة من ذلك تماماً. وأنا، على أي حال، لا أعرف أموراً كثيرة عن البلدان الأخرى. ولا أعرف عن «أمبييركا» سوى أنها بعيدة جداً. ولا يمنع أن هذه «الغولدن غلوبز» ترتدي أهمية كبرى لأن جميع من في الغرفة أصيبوا بهذا القدر من السرور. وتابعت لوفلين بحماسة:

- لا أطيق صبراً لمعرفة من سيُرشَّح للأوسكار!

لم أفهم حقيقة ما يعنيه ذلك كلّه، إلا أنني لم اضطر إلى إجبار نفسي على أن أبدو مبتهجة لأنني كنت مسرورة جداً لمشاهدة نفسي على الشاشة. ولم أطق صبراً لأخبر عائلتي بكل شيء. وفي السيّارة التي أقلتّنا في طريق العودة تحوّلنا أزهار وأنا إلى طاحونة كلام حقيقية.

- أرأيتِ المشهد الذي أقع فيه عن سطح القطار؟

- أرأيتَني أرقص رينغا رينغا؟

- أرأيتِ آيوش يسقط في الوسخ؟

ولم أستطع، بعودتي إلى المنزل، منع نفسي من التحدّث عن الفيلم مع أنسبائي، وأشقائي وشقيقاتي وعمي وزوجة عمّي.

وقلتُ لهم أن في وسعهم مشاهدته في إحدى دور السينما. وفي كل مرّة يجري تمرير الشريط الدعائي يأخذون في صراخ اسمي: «روبينا! روبينا!»

جاء بعض صحافيي القناة الإخبارية لرؤيتي قبل العرض الأول. سألوني عن أمور كثيرة، ثم أرادوا مني أن أتخذ وضعية للتصوير. أخذ كل شيء يتحرّك بسرعة بالنسبة إليّ.

وزارني في صباح يوم الخميس نفسه صحافيون أجانب. وبعد مقابلة صغيرة طلبوا منّي ومن أزهار الرقص على السكة الحديد التي تحاذي حيّنا. ودهشتُ كيف أن هؤلاء الصحافيين سمعوا بي. وحلّ بعد الظهر، والجميع لا يزالون يركضون في كل الاتجاهات، إنها فوضى حقيقية. طلبت منّي عائلتي أن أرتاح قليلا ولا أوسخ نفسي. ويُفترض بأبي، ومونّي، وجدّتي، وعبّاس أن يأتوا معي إلى العرض الأول. وشعرت مونّي برغبة في إعطاء انطباع جيّد فاشترت لنفسها «سارياً» ورديّاً جميلاً. ولما ارتديتُ فستاني الأخضر، عجزت شقيقتي، سنا، في البداية عن الكلام، ثم اقتربت لتلمس الموسلين وتنظر إلى التطريزات الأمامية الدقيقة. وأرادت لزيّي أن يكون كاملاً فأصرّت على إعارتي مجوهراتها. ووضعتُ الكحل على عينيّ، وحولهما خط بقلم التزيين، إضافة إلى أحمر الشفاه. وصرنا في النهاية على أهبة الاستعداد. وما إن خرجتُ من مدينة الأكواخ حتى نظر الجميع إليّ باعجاب.

- روبينا، كيا لاغ راهي. (أنت جميلة جدّاً يا روبينا.)

كُلّف بارفيش مسؤولية نقلي وأزهار إلى العرض الأول في «إيماكس»، وهي واحدة من أكبر دور السينما في مومباي. كان يفترض بنا الذهاب في تمام السادسة مساء. وها إن أزهار ينتظر في الخارج وهو يرتدي كورتا بنّية طويلة مع دوباتا بيضاء. ويبدو مختلفاً جدّاً بهذا اللباس! وهو أيضاً ذاهب إلى العرض الأول برفقة والدته ووالده. أراد بارفيش أن ننتقل جميعنا بالحافلة، لكن والد أزهار رفض. وأخذ يصيح بأن بارفيش يملأ جيوبه بالكثير باحتفاظه بالمال الذي أعطاه إياه الإنتاج للنقليات ويجعلنا نركب الحافلة إلى المكان. وأنا أيضاً لم أرغب في الصعود إلى حافلة تعج بالركاب للذهاب. خفت من أن أتلف ثوبي وتبرّجي. وبعد الكثير من المناكفات، ركبنا التاكسي إلى وادالا، وهي ضاحية من ضواحي مومباي. اضطررنا إلى الركوب في سيارتي تاكسي لأن سيارة واحدة لا تسعنا. فركب أزهار وعائلته وبارفيش في واحدة، وركبت وعائلتي في الأخرى. استغرَقَنا الوصول إلى هناك أكثر من ساعة ونصف. ولم يحالفنا الحظ فوق ذلك كلّه إذ تعطّل التاكسي الذي نستقلّه ونحن على الطريق. أوشكت على البكاء، لأنني لم أرد أن أتأخّر على اليوم الأكثر أهمّية في حياتي. وقد وصلنا في حوالي السادسة والنصف.

سدّت حشود ضخمة المدخل أمام السينما. وقد صوّب العشرات من مصوّري الفوتوغراف والفيديو عدساتهم كلّها علينا. غير أن فريق الإنتاج انتظرنا عند باب آخر ودخلنا معه. وكان على عائلتي الوصول من الجهة الأخرى. وساد جنون فعلي في

الخارج بوجود جميع هؤلاء الصحافيين وكاميراتهم الضخمة ومذاييعهم، ومن ثمّ دخلتُ وكان الجميع قد جلسوا في أماكنهم وأنا آخر الواصلين. وقيل لي إن الفريق كلّه سيصعد معاً إلى المسرح. شاهدتُ لوفلين الجميلة جداً بالساري الأصفر، وتاناي الجميل جداً ببذته المخملية السوداء ووشاحه البنفسجي. اقترب داني منّا واعتصرنا، أزهار وأنا، بين ذراعيه. وقد انتظر الجميع، بفارغ صبر، الترشيحات للأوسكار. وأخيراً، جاءت اللحظة السحرية، وقد سار أمامنا موسيقيون يعزفون على الـ«دول» (آلة موسيقية تشبه الطبل)، وتبعهم الفريق كلّه. رقص الجميع، لوفلين ديدي، وأنيل كابور، وديف باتيل، وحتى العم داني. نادى الصحافيون باسمي: «روبينا، روبينا»، فعرفت عندها أنني أصبحت نجمة. وأخبرتني لوفلين في وقت لاحق أنه تم اختيار فيلمنا في الأوسكار في عشرة فئات مختلفة. إلا أنني لم أبالِ بشيء، فهذه سهرتي، وما تبقّى يأتي لاحقاً.

جحظت عيناي لكثرة عدد الممثلين المشهورين هناك: هريثيك روشان، إمران خان، كارينا كابور، أمريتا راو، عمير خان، ديبيكا بادوكون، وكثيرون غيرهم. حتى يمكن القول إن جميع ممثلي وممثلات بوليوود تواعدوا على اللقاء في الإيماكس لمشاهدة فيلمي. حتى معبودتي بريتي زينتا كانت هناك، وقد ارتدت فستاناً جميلاً طويلاً أبيض. وارتدى الرجال الجينزات والكنزات. تسلّى الجميع كثيراً، وثرثروا وشربوا. خافت مونّي في البداية من جميع هؤلاء الممثلين المشهورين، لكنها ما لبثت أن تحمّست ولم تعد تعرف إلى من تصوّب آلة تصويرها.

شعرت كأنني نجمة سينمائية حقيقية. جلس أهلي في الصالة إلى جانب أزهار. ولم نتوقّف، أزهار وأنا، عن الالتفات لرؤية من يجلس وراءنا. وأخيراً بدأ عرض الفيلم. تطلّعت مونّي وأبي إليّ على الشاشة بانتباه من دون أن يتفوّها بكلمة. وأخذنا، أزهار وأنا، نضحك في كلّ مرّة نظهر فيها! أعيدت إضاءة الأنوار في نهاية الفيلم وصفّق لنا الجميع تصفيقاً قويّاً. اعتقدت أن الجمهور لن يتوقّف أبداً عن الهتاف لنا. وعندما خرجنا جاء الكثير من الناس، وحتى نجوم مثل كارينا كابور وهريثيك روشان، لاحتضاني بين أذرعتهم وتهنئتي.

- أحسنتِ يا روبينا، كنت رائعة! أكملي على هذا النحو!

- شكريا.

أجاء هريثيك روشان للتحدث معي؟ ذهلت مونّي وطلبت منه توقيعه، فلا يصادف المرء في كل يوم نجماً من هذا النوع. واستمر داني في ذلك الوقت في كيل المديح لي أمام والدي.

- أنت، إذاً، والد روبينا؟ أنت محظوظ! تمتلك ابنتك موهبة حقيقية. تصرّفت على مسرح التصوير كما لو أنها فعلت ذلك طيلة حياتها.

- شكراً، يا سيدي.

لا يتحدّث والدي الإنكليزية، وبالتالي لم يفهم كل شيء، غير أنه أدرك جيّداً أن داني يخبر أموراً طيّبة عن ابنته، ولم

يتمكن من الامتناع عن الابتسام. وجاء أنيل كابور هو الآخر ليقول لنا بعض الكلام، لي ولوالدي.

- روبينا فتاة رائعة وممثلة موهوبة. اهتم بها جيّداً، وتدبّر أن تحصل على الحد الأدنى من الدراسة، وهي ستحقق الكثير، سترى!

أعتقد أن والدي أدرك في ذلك اليوم أن الفيلم قد بدّل حياتي. وبدأ في اليوم التالي رسمياً عرض «فتى الأزقة المليونير»، فهرع إلى سينما «غيتي غالاكسي»، على مقربة من عندنا، ليحضره بالهندي. ولما عاد كان أكثر ابتهاجاً من العرض الأول لأنه فهم كل الحوارات. أحب فعلاً الموضوع الذي يجري على خلفية مدينة الأكواخ. كما لو أننا نشاهد حياتنا اليومية على الشاشة الكبيرة. ولا تختلف مدينة أكواخ دارافي، حيث صُوّر الفيلم، عن مدينة أكواخ بندرا الشرقية كثيراً. وقد استثارت والدي أيضاً رؤية ردّات الفعل من حوله في السينما. وقد وُضعت الملصقات في كل مكان في مومباي وقت خروج الفيلم. وانتشرت في كلّ زوايا الشوارع، بعضها بالهندي، والآخر بالإنكليزية. صرت في السماء السابعة ولم يسعني التوقّف عن توجيه الشكر لله.

يختلف هذا الفيلم بعض الشيء عن أفلام بوليوود الأخرى لأنه يُظهر أموراً حقيقية، ومنها، على سبيل المثال، الشجارات بين المتطرفين الهندوس والمسلمين، عندما يُشاهِد البطلان، جمال وسليم، والدتهما تموت أمام أعينهما. وقد حصلت هذه

الشجارات فعلاً في الأحياء الوضيعة لمومباي. وجرت قبل مولدي، لكن والدي يتذكّرها كما لو أنها بالأمس. كان مراهقاً في الوقت الذي تقاتل فيه الهندوس والمسلمون في حيّنا. وعلى غرار الجميع، ركض أبي للاحتماء. وقد شهر البعض سكاكين والآخرون مسدسات. وشاهد أبي رجلا تلقّى غولي (رصاصة) يسقط على مقربة منه تماماً. وقُتل أيضاً ثلاثة من جيرانه. وجاءت الشرطة، لكن مجيئها لم يؤدّ إلا إلى زرع المزيد من الذعر، وسقط أيضاً المزيد من القتلى، والكثير من الضحايا من الأولاد. وعادت الأمور إلى طبيعتها منذ ذلك اليوم. ويعيش الهندوس والمسلمون جنباً إلى جنب من دون الكثير من المشاكل، لكن التوتّرات لا تزال قائمة. وأتساءل أحياناً لماذا يكرهون بعضهم البعض. فنحن متشابهون، ونعيش في البلد نفسه، سوى إنني أعزو ذلك إلى وجود أشرار في الطائفتين كلتيهما. فلديّ بعض الأصدقاء الهندوس ونحتفل معا بالديوالي، وهو عيد الأنوار. ويجب الانتباه في استخدام المفرقعات في مدن الأكواخ وإلا نخاطر بشبوب حريق هائل، ولهذا نفرقعها في ذلك اليوم في الخارج على مقربة من خط السكة الحديد.

أما بالمتاجرة بالأولاد المعوّقين التي نشاهدها في «فتى الأزقة المليونير»، فهي أيضاً صحيحة تماماً. فأبطال الفيلم الثلاثة، جمال وسليم ولاتيكا، يلتقطهم الباعة الذين يفقأون عيون الأولاد أو يقطعون سيقانهم قبل إرسالهم للتسوّل. وسبق أن استمعت إلى قصص من هذا النوع، لكن ذلك لم يحصل أبداً مع أولاد من عندنا، وأنا على أي حال لم أسمع بذلك

أبداً. ويقول والدي إنهم لا يأخذون الأولاد الذي لهم أهل. فالأيتام هم الذين في خطر لأنهم متروكون لوحدهم ويعيشون في الشارع. لم يسبق لأبا أن شاهد فيلماً كهذا، مختلفاً كثيراً عن الأفلام الأخرى، وليس والدي الوحيد الذي وجده مشوّقاً. فبعد العرض الأول للفيلم اهتم الكثير من الصحافيين بمدينة أكواخ وبي. فغداة العرض الأول بدأت سيّارات خاصة مع اسطوانات مستديرة معلّقة على أسقفها في المجيء إلى حيّنا. قال المراسلون أنهم يريدون إجراء المقابلات معي حول تجربتي خلال التصوير، غير أنهم كانوا في الواقع أكثر فضولاً في معرفة الظروف التي أعيش فيها. وجد الجيران في البداية أنه من المسلّي جدّا رؤية كل هذه الوجوه الجديدة، لكن، هم أيضاً، تعوّدوا على الأمر بعد ذلك. وفي كل مرّة يقترب فريق من الصحافيين، يركض أبناء الجوار صوبي صارخين: «روبينا، تيرا ليّا كاميرا آ راها هاي». (هناك كاميرا آتية من أجلك.)

لم يطرح عليّ الجيران الأسئلة عندما انتهيت من التصوير. لكن بعد عرض «فتى الأزقة المليونير» في الهند تبدّل كل شيء. لم يعد أنسبائي ونسيباتي وأخوتي الوحيدين الذين يرقصون على رينغا رينغا وجاي هو. بل أصبحت مدينة الأكواخ كلّها تقوم بذلك.

صرنا، أزهار وأنا، تحت الأضواء، بدا كما لو أن العالم كلّه أصبح فجأة مهتمّاً بي. جاءت جميع رفيقاتي لرؤيتي، كل بدورها، وفي جعبتهن الكثير من الأسئلة حول كيفية تصويرنا

الفيلم، والنجوم الذين التقيتهم، أو التأثيرات الخاصة. وبات المنزل مليئاً دوماً بالناس. ورآنا الأولاد الآخرون في المدرسة نسير على السجادة الحمراء، وقد سحرهم ذلك. حتى بارفيش أصبح شخصية مهمّة جداً، وغالباً ما يذهب الأهل للقائه ليطلبوا منه أخذ أولادهم إلى اختبارات تصوير.

وصرت في كل يوم أتلقى مفاجأة جديدة، ووجدت أن كل شيء جميل. لم أكف عن التمتّع بكوني أصبحت على هذا القدر من الشهرة بتمثيلي فيلماً واحداً وحسب.

٦

أجمل يوم في حياتي

- هل تدرين، يا روبينا؟ ستذهبين إلى أميركا! إلى أميركا، يا روبينا!

اتصلت لوفلين هاتفياً بوالدي بعد العرض الأول لتعلن له أن فريق «فتى الأزقّة الميلونير» كلّه سيتوجّه إلى حفل توزيع جوائز الأوسكار. خاف والدي بعض الشيء من فكرة ذهابي إلى مكان بعيد كهذا لمجرّد تسلّم جائزة. أما أنا فقد ثار جنوني لمجرّد التفكير أن في وسعي الذهاب إلى أميركا! لا بد وأنها تحتوي على أناس كثيرين من ذوي البشرة البيضاء والشعر الذهبي. وتساءلتُ إن كانت توجد في أميركا مدن أكواخ من النوع نفسه الذي عندنا. طرحتُ على نفسي الكثير من الأسئلة، إلا أنني كنت في الوقت نفسه مستثارة للغاية. استغرق والدي بضعة أيام قبل أن يتخذ قراره. وناقش الأمر أخيراً مع أصدقائه وأعضاء من عائلتنا واتفقوا جميعهم على القول إنه لا يمكن رفض فرصة كهذه. لم يعد والدي، الهادئ في العادة، يتمكن

من الثبات في مكانه بعدما اتخذ قراره. والأكثر منه أنا. وقلت في نفسي إنه لا بد أن أميركا جميلة كثيراً ليعطيها جميع الناس مثل هذا الاهتمام الكبير. فالذهاب إلى هناك يشكّل بالنسبة إلي مرحلة إضافية أجتازها، وبالأخص، الكثير من الأمور التي عليّ أن أكتشفها.

- أبا، أميركا كيتني دور هاي؟ (هل أميركا بعيدة، يا أبي؟)

- روبينا، أميركا سآت سموندار بار هاي. (روبينا، أعتقد أنه يجب اجتياز سبعة محيطات لبلوغها).

- سنذهب بالباخرة، إذاً؟

- كلا، بالطائرة.

- سأركب الطائرة؟

- نعم، يا روبينا. ستطيرين في السماء.

- ساكشي؟ (صحيح؟)

هكذا إذاً! لقد شاهدت طائرات تحلّق فوق مدينة الأكواخ. وسبق أن ذهبت أيضا إلى إحدى الحدائق العامة في جوهو حيث توجد طائرات ضخمة. وهي لا تتحرّك، لكنني عشقت الدخول إليها وتخيّل أنه يمكنها في أي لحظة أن تطير. ولطالما تساءلت كيف ستكون الأمور ونحن على علو شاهق في السماء. لا بد أن كل شيء سيبدو صغيراً جدّاً. لكنني لم أتخيّل أبداً بأنه ستتاح لي الفرصة، في يوم من الأيام، لأجد نفسي في واحدة من هذه الآلات الطائرة. صحيح إذاً أنني سأمرّ فوق الغيوم!

الشيء الوحيد الذي كان يزعجني هو الذهاب بعيداً جداً لوحدي.

- هل سترافقني، يا أبا؟

- أخشى أن ذلك مستحيل، بسبب كاحلي. فهو لم يشْفَ كلّياً بعد، ولا رغبة لديّ بأن أتعرض لمتاعب في بلدٍ بعيد كهذا.

- سأذهب لوحدي، إذاً؟

- لا تقلقي، أعرف من سيرافقك. اتبعيني.

خرج أبا من المنزل، وتبعته وأنا أقفز. وانحرف يميناً عند آخر الزقاق للذهاب إلى منزل عمي محي الدين، الشقيق الأكبر لأبا. أزاح والدي الستارة البلاستيكية للدخول وحيّا عمّي. وأنا كنت وراءه مباشرة، وشاهدت عمي، وأنا أدخل، على السرير وشممت الرائحة الطيبة لخروف تصنع منه زوجة عمّي اليخنة. شرع والدي في الكلام بابتسامة صغيرة:

- إحزر ماذا، يا محي الدين؟

- ماذا؟

- ستسافر إلى أميركا مع روبينا.

- كيا؟ (ها؟)

- سآتي لرؤيتك غداً صباحا لأن علينا أن نناقش الموضع. خودا حافيظ! (هيا، مساء الخير!)

لم أعرف ما الذي تداولا به في اليوم التالي. واكتفيت في الأيام التالية بأن أحلم بأميركا، وجاء جميع أولاد مدينة الأكواخ يخبرونني بما سمعوه عن هذا البلد.

وفي أحد الأيام، جاءنا راكش وعدنان من الإنتاج وقد سُررت لرؤيتهما لأن ذلك يعني بالتأكيد وجود أمر جديد يتعلّق بالسفر.

- صباح الخير يا رفيق، أتينا لأخذ الوثائق لتقديم طلب الحصول على جواز السفر؟ هل حضّر شقيقك كل شيء؟

- باتان أهي شالو دكتاي هاي. (لا أدري. لنذهب ونرَ).

وعند محي الدين، قدّم أبا الرجلين:

- يا محي الدين، هاك راكش وعدنان، ويحتاجان إلى الأوراق التي تثبت هويتك ليصدرا لك جواز سفر.

- جواز سفر؟

- نعم، جواز سفر. لتذهب، كما تعلم، إلى أميركا!

ففغر عمّي فاه وهو عاجز عن تصديق فكرة أنه ذاهب فعلاً إلى أميركا، معي، ليرافقني. بدا القلق على وجه راكش وأوضح جيّداً أن ليس لدينا وقتٌ نضيعه.

- يجب أن تُسرع يا محي الدين. فحفلة الأوسكار تجري في ٢٢ شباط/فبراير ومهل تسليم جواز السفر طويلة. ناهيك بأن علينا بعد ذلك تقديم طلب التأشيرة الأميركية وشراء تذاكر الطائرة.

أعرف جيّداً ما هو جواز السفر، لكن لا أملك في المقابل أي فكرة عن التأشيرة. وأوضح لي راكش أن الأمر يتعلّق بختم خاص على جواز السفر يعطي الإذن بالدخول إلى أميركا.

واستغرق أهل أزهار أيضاً وقتاً قبل أن يقرروا السماح له بالذهاب، مع أمه. وفي النهاية جرى كلّ شيء على عجل، وفي حالة من الذعر، واعتقدَ داني فعلاً أننا لن نصل في الوقت المحدد. وحتى أنا خشيتُ من أننا لن نفلح في الحصول على جواز السفر والتأشيرة في موعدهما. تدخّل فريق الفيلم للاهتمام بكل الأوراق. وكان الأمر معقّداً في ما يختصّ بي لأنني لم أملك كل الوثائق اللازمة. لم أملك وثيقة ولادة، وعائلتي لا تعرف حتى تاريخ ميلادي بالتحديد. وعلى أثرها قرر فريق الإنتاج أنني وُلِدْتُ في ٢١ كانون الثاني/يناير ١٩٩٩. وذهبت مع أزهار وعمّي إلى المكتب الذي يعطي جوازات السفر وأمكنني الحصول على واحد. بقيت مسألة التأشيرة وقد أصبحنا في العشرين من شباط/فبراير. ومن حسن حظي أنهم شاؤوا إعطائي واحدة، وعرفت من تلك اللحظة أن ما من شيء يمكنه منعي من الذهاب إلى أميركا. صرت في كوكب آخر من شدة سعادتي! وفي اليوم التالي أصبح الأمر جنونياً. فعلي توضيب أمتعتنا، والصحافيون لا يكفّون عن الجري وراءنا. وأخيرا جاء يوم المغادرة. وحتى في ذلك الصباح، قبل ساعات قليلة من التوجه إلى المطار، جاء الصحافيون ليجروا مقابلات معنا في بندرا الشرقية.

- إذاً يا روبينا، هل أنت مسرورة بالمغادرة؟

- مسرورة جدّاً! وأنا على أحرّ من الجمر!

- بماذا توحي لك أميركا؟

- لا أدري، لكنني أنوي أخذ عدد كبير من الصور لأريها لرفاقي ولعائلتي لدى عودتي.

- هل اشتريت فستاناً جميلا للحفلة؟

- كلاّ، سنشتري ثوبي من هناك: سيكون فستاناً أميركياً!

- وأنت، يا محي الدين، ماذا سترتدي؟

- جينز وكنزة جميلة، بلا شكّ!

وأخيراً وصل التاكسي الذي سيقلّنا إلى المطار الدولي. والمطار مختلف كثيراً عن محطات القطار. لا يوجد هذا الكم الكبير من الناس، والناس لا يتدافعون للتقدّم. وعلينا أيضاً الكشف عن حقائبنا، وقد تم تفتيشي بواسطة آلة طويلة لا تكف عن اصدار أصوات «بيب-بيب». وسرعان ما انشغلتُ في الطائرة في استكشاف كل شيء. يوجد تلفاز صغير على ظهر المقعد من أمامنا، وزرّ فوق رؤوسنا. إذا ضغطنا على هذا الزر تأتي المضيفة الجويّة ويمكننا أن نطلب منها الملبّس، والمشروبات الباردة، وكل ما نريد. عصف بي الفرح الشديد عندما أخذت الطائرة تسير ببطء على المدرج. ألصقت وجهي بالكوّة ورأيت المنظر ينساب بسرعة كبيرة، وفجأة ارتفع قلبي داخل صدري: إننا نترك الأرض وسط ضجيج هائل.

لم أستطع أن أكبت صرخة صغيرة. فابتسم عمي محي الدين وحاول طمأنتي، مع أنني شعرت جيداً أنه كان متوتّراً بعض الشيء: فهذه هي المرّة الأولى بالنسبة إليه أيضاً. وبعد ذلك، لم أعد وأزهار نثبت في مكاننا. جرّبنا كل الأزرار، وكل وضعيّات المقعد، وكل قنوات التلفاز. وسررت كثيراً عندما جاؤوا ليقدّموا لنا طبقاً من الطعام ومُلبّساً بين الوجبات. لا شك في أن الطائرة ممتعة جدّاً. وجاء أناس في خلال الرحلة ليطلبوا توقيعي، ولم يمكنني أن أصدّق. واجتهدت لأوقّع وأنا أكتب اسمي بالانكليزية، واستَمتِعُ بشهرتي. وبعد انقضاء عدّة ساعات، وأنا نصف غافية، شعرت بالطائرة تهبط.

- ما الذي يحصل؟

- تستعدّ الطائرة للهبوط.

هبطنا وأنا لا أملك أدنى فكرة عمّا سيحصل. وسرنا، عند الخروج، عبر ممرات طويلة مضاءة.

- هل هنا أميركا؟

- كلا، هنا ألمانيا. سنركب طائرة أخرى.

لم يسبق لي أن سمعت بألمانيا من قبل، ولكن ركوب طائرة أخرى؟ وهنا أدركت كم أن أميركا بعيدة.

يختلف هذا المطار كثيراً عن مطار مومباي: كل شيء نظيف ويلمع كما لو أنه جديد. ركبنا طائرة أخرى بعد ذلك بساعة. وهذه المرة لم أفاجأ عندما أقلعت الطائرة، إذ عرفت ما

الذي أتوقّعه. إنها سفرة طويلة جداً، وأخذت أشعر فعلاً بالتعب، ونمت. أعلن القبطان، في ختام ساعات طويلة، عن بدء الانحدار صوب لوس أنجلوس. لوس أنجلوس... أنا لا أعرف هذه المدينة، ولم يسبق لي أن سمعت بهذا الاسم من قبل. وشرحت لي لوفلين:

- لوس أنجلوس هي مدينة هوليوود.

- وما هي هوليوود؟

- إنها مثل بوليوود في مومباي.

- هل يصنع الأميركيون الكثير من الأفلام؟

- آه، نعم، الكثير منها!

كان مطار لوس أنجلوس أكثر جمالاً حتى من مطار ألمانيا. الممرات وقاعات الانتظار: كلها هائلة الحجم. مررنا عبر كثير من حواجز التدقيق، وعند المخرج استقبلنا رجل من الإنتاج. مرّت أربع وعشرون ساعة على مغادرتي مومباي وبات الجميع ضائعاً بعض الشيء ومتغيّر الأطوار. انتظرتنا في الخارج سيّارة جميلة سوداء وبيضاء. تلاشى تعبي، فلم أَرَ في حياتي كلّها سيّارة بهذه الروعة. داخلها شاسع بل وفيه أيضاً برّاد صغير يحتوي على الكوكا كولا! مررنا على الطريق بالكثير من المنازل الجميلة، بدت متينة جدّاً، وذات حدائق كبيرة جداً ملأى بالأزهار.

لا توجد في أميركا نفايات على الأرض، فكل شيء نظيف، والأكثر غرابة هو عدم وجود أشخاص يمشون أو يركبون الدراجة ذات العجلات الثلاث الثلاثة: بدا وكأن كل شخص هناك يمتلك سيّارة. بدت فارغة كلياً بالمقارنة مع مومباي. وصلنا إلى الفندق بعد رحلة استغرقت نصف ساعة. وهو أيضا أجمل من ذلك الذي التقيت فيه العم داني في الهند. أعتقد أنني توقّفت عن التنفّس لدى دخولنا لما فيه من السحر، ولم يتوقّف أي منّا عن إظهار انبهاره. وأول شيء لاحظته هو بركتا سباحة، إحداهما ضخمة فعلاً. وحتى قبل أن يتمكّن عمّي ووالدة أزهار من المعارضة، اندفعنا أزهار وأنا مباشرة إلى البركة الأصغر. وفي غضون دقيقة خلعت ملابسي واندفعت في الماء بسروالي التحتي. كان الماء يميل إلى السخونة بالرغم من الطقس الأكثر برودة من مومباي. وأحببت بنوع خاص الفقاقيع التي تنطلق من القاع وتدغدغ كل مكان في جسمنا. هذا مسلّ جدّاً! وركضت والدة أزهار وهي تصيح:

- أزهار، هل تخرج من الماء؟ ستصاب بالزكام!

نظر إلي عمّي هو الآخر من دون أن يقول شيئاً، فهو يعرف تماماً أن لا فائدة من ذلك. واستمرينا، أزهار وأنا، في القفز داخل الفقاعات متناسين زبائن الفندق الذين كانوا يراقبون نا كما لو أننا متوحشان. وتوجب علينا، مع ذلك، مغادرة الحوض بعد بضع دقائق.

- عليكما، أيها الولدان، الخروج من الماء الآن. والدة

أزهار على حق، ستصاب بالزكام. وإذا مرضتما فلن تتمكنا من الذهاب إلى احتفال الليلة.

- احتفال؟ أي احتفال؟

- احتفال من تنظيم فريق الفيلم في أحد الفنادق. يجب عليكما الاستعداد.

تحمّست كثيراً لفكرة الذهاب إلى احتفال. لفّينا أنفسنا بمناشف أُعطيت لنا، واستقبلنا المصعد إلى غرفنا في الطابق الرابع من هذا الصرح الذي، ولا شك، أعجبني كثيراً، وبخاصة أنها المرة الأولى التي أنام فيها خارج مدينة الأكواخ. وتقع غرفة أزهار التي يتقاسمها مع والدته قبالة غرفتنا مباشرة. وهي في الحقيقة غرفة شاسعة، كبيرة لدرجة يمكنني ان أركب الدراجة فيها؛ فالحمام وحده أكبر من الغرفة التي أعيش فيها في مدينة الأكواخ. وفيها أيضا ثلاجة صغيرة. وشرح لنا الشخص الذي رافقنا:

- يوجد في البراد الشوكولا، والمشروب، والبسكويت... ولا تتردّدوا في الطلب إذا احتجتم إلى أي شيء. ما عليكم إلا ان تطلبوا الرقم تسعة، وهو رقم الاستقبال.

إنها الجنّة! وفيما شرع عمي محي الدين في فتح الحقائب لترتيب الأمتعة، أخذت أركض في كل مكان من أمكنة الغرفة لاستكشاف كل روائعها: فالحمام يضم مغطساً (هو الأول الذي أراه في حياتي!) والكثير من المستحضرات الطيبة الرائحة: الشامبو، وأنابيب الكريم والكثير من الأشياء الأخرى التي

تشوّقت لاستعمالها. ورأيت من النوافذ أزهاراً رائعة، بيضاء وزهرية. وفي الغرفة سريران كبيران تفصل بينهما طاولة صغيرة عليها ضوء. والسرير وثير جدّاً لدرجة تمكنني من أن أغفو عليه فوراً. وتوجد أيضاً شاشة تلفاز مسطّحة على شكل مدهش، أشبه بالورقة: قفزتُ إلى جهاز التحكّم لاستكشاف القنوات الموجودة. لكن أحدهم قرع الباب في تلك اللحظة؛ إنها امرأة.

- مرحباً، اسمي تاس. سأهتم بكما خلال فترة إقامتكما.

- مرحباً، أنا روبينا، وهذا عمي محي الدين.

- تشرّفنا. حسناً، هل تم إبلاغكما بحفلة الليلة؟ أحضرت لكِ بذّة جميلة. أتريدين رؤيتها؟

- نعم!

كانت تاس لطيفة جداً. اشترت لي للسهرة فستاناً زهرياً رائعاً ذا حمّالتين، وصندلاً مزيّناً بالأزهار. وبالرغم من أن الزهري ليس لوني المفضّل، فقد سررت جداً مع ذلك لأنه فستان أميركي!

- فكّرت في أن اللون يليق بك جيّداً. هل يعجبك؟

- أعشقه!

الصندل صغير بعض الشيء، لكن لا بأس. ارتديت الفستان الجديد، وشعري لا يزال رطباً بعض الشيء بعد استحمامي في الحوض ذي الفقاقيع، ثم نظرتُ إلى نفسي في المرآة بنشوة إعجاب. وقالت لي تاس لقد حان وقت الذهاب، نزلنا إلى بهو

الفندق للانضمام إلى أزهار وآيوش وتاناي وأشوتوش وتانفي، وهم الأولاد الآخرون الذين مثّلوا في الفيلم، وينزلون جميعهم في فندق الانتركونتينانتال. وهرع إلينا داني وهو يشاهدنا نصل.

- أهلاً بكم في أميركا!

عانقنا بحرارة الواحد تلو الآخر، وقد سُرّ لرؤيتنا. ثم عرّفنا على زوجته وأولاده الثلاثة. كانت عائلته لطيفة جداً معنا ودعاني أولاده للرقص معهم، ولم أتوقّف عن الضحك. اجتمع فريق «فتى الأزقة المليونير» بأكمله، مع بعض من أعضاء عائلاتهم أو أصدقائهم الحميمين على ما أفترض. وجاء أناس كثيرون ليطلبوا مني توقيعي. وأنا أجد ذلك دوماً مثيراً للدهشة، غير أنني أخذت أعتاد على الأمر. وعكفت على القيام بذلك. قُدم لنا عصير الفاكهة، لكنني لم ألمس الوجبات الخفيفة التي قدّمت لنا: فهي لا تشبه أياً مما أعرفه، ومظهرها غريب. وشرعت في التثاؤب بعد مرور ساعة. شعرت كما لو أنني واقفة منذ أيام وأيام. لم تكن الساعة قد تجاوزت السابعة مساءً، لكنه، مع فارق التوقيت الزمني، وقت متأخر جداً بالنسبة لي. أدرك داني الأمر سريعاً، ونصحنا بالرحيل:

- اذهبوا للنوم، أيها الأولاد، يجب أن تكونوا في حالة جيّدة في الغد!

أعادنا السائق إلى الفندق وأزهار منهك مثلي. وهو، لأول مرة، لا يناكفني بسبب شعوره بالتعب الكثير. وبوصولي إلى الغرفة، نظرت إلى السرير بشراشفه البيضاء وشعرت ببعض

الخوف. لم يسبق لي أبداً أن نمت وحدي: فقد تعوّدنا، في المنزل، أن نلتصق ببعضنا البعض، ولا خيار لنا غير ذلك، على أي حال، بسبب صغر الغرفة. وهنا، لا ينقص المجال، لكنه يكاد يكون كثيراً عليّ. حاولت ولم أتمكن من النوم في هذا السرير الكبير. فالفراش، والغرفة: كل شيء كبير جداً. نام عمّي في السرير المجاور، لكن الأمر ليس نفسه. اجتزت الرواق، من دون تفكير، وطرقت على الباب المواجه حيث فتحت لي والدة أزهار:

- روبينا؟ ماذا بك؟

- هل يمكنني أن أنام معك؟

- طبعا، ادخلي.

نمنا ثلاثتنا في السرير نفسه. وحتى بوجودنا ثلاثتنا معاً شعرنا بالخوف في هذه الغرفة الهائلة. فأزهار ووالدته غير متعوّدين أيضاً، والأمر قاسٍ بعض الشيء بالنسبة إليهما. التصقنا ببعضنا البعض وغفونا في النهاية وقد نال منّا التعب. استيقظنا في اليوم التالي باكراً جداً ونحن في أفضل حال. وأدركت، إثر ذلك، أننا في أميركا مع ما يعنيه ذلك. وعند ذاك نزلنا طوابق الفندق الأربعة بسرعة لنندفع إلى حوض السباحة.

أستحمُّ كل يوم، في بندرا الشرقية، في ما يشبه حوض التفريغ الذي يقع إلى جانب تلة الوحل مباشرة. والحوض بنفس حجم منزلنا، بضعة أمتار مربعة، ويعبره انبوبان ضخمان عرض الواحد منهما متران. وهو نقطة التقاء أولاد الحي عندما يكون

الطقس حارا. والمياه سوداء تماماً وهناك دوماً بعض الأوراق الوسخة أو شابالات قديمة منسية تطوف على السطح، لكنه المكان الوحيد الذي يمكن فيه الانتعاش. وننزل فيه بواسطة رقع شراشف ممزقة مربوطة إلى قساطل صغيرة.

يقفز بعض الأولاد من فوق لطرطشة جميع من حولهم. وأنا لا أفوّت هذا الاستحمام في بندرا لقاء أي شيء في العالم: إذ انني أعشق وجودي في الماء. لا أنزل إلى عمق كبير، لكنني أدعي بأنني أغطس عن أحد الأدراج عند الجانب. وأفعل تماماً مثل أناس التلفزيون ويداي مضمومتان. يجب أن أكون على أتم الاستعداد للزمن الذي سأعيش فيه في فيلا كبيرة مع حوض السباحة الخاص! قلّة من أولاد مدينة الأكواخ يعرفون السباحة، ومن يعرفون تعلّموا ذلك في قريتهم الأم. والشيء الوحيد الذي يجب الانتباه إليه في هذا الحوض هو عدم ابتلاع الماء. وقد دخل القليل منه مرّة في فمي، وهو في الحقيقة مرّ وغير مستساغ أبداً. ويوجد أيضاً أفاعٍ في القعر يمكنها أن تلسعنا إذا مشينا فوقها. وإلى هناك أيضاً يأتي بعض النساء لغسل ملابسهن.

وأنا لا أستحم أبداً في المنزل: توجد صراصير كثيرة، إضافة إلى أنه لا يوجد الكثير من الماء، ويجب بالتالي الاقتصاد في استخدامه. وأفضّل أكثر الغطس في حوض التفريغ، فهو أكثر متعة. أما في لوس أنجلوس فالوضع أفضل: المياه نظيفة، وشفافة للغاية، وحوض السباحة بحجم البحيرة. وهي أفضل حتى من شاطئ جوهو حيث لا يمكننا الاستحمام بالكامل بسبب

الأمواج. لم أستخدم مغطس الغرفة سوى مرّة واحدة لغسل شعري، لأنه لا يمكننا، في حوض الفندق، استخدام الشامبو أو الصابون، ولا القفز فيه، وقد وجدت ذلك غريباً بعض الشيء.

لعبنا طوال النهار في الجاكوزي. فأنا منذ تعلّمت كيف أسمّيه، لم أتوقف عن ترداد كلمة جاكوزي الغريبة. ووجد عمي ووالدة أزهار صعوبة في إقناعنا بالخروج منه.

توجد في ذلك الفندق مطاعم كثيرة. ويتناول الأميركيون طعاماً مختلفاً وليس لديهم لا دال، ولا شوال، ولا فراريج ماسالا (بالتوابل)، بل أمور غريبة لا طعم فيها ولا توابل. لم أستطع قطّ التعوّد على البيتزا خاصتهم، وهي نوع من الشاباتي ذات صلصة حمراء وأشياء أخرى فوقها. ولديهم أيضاً بطاطا مقصوصة بالطول من دون ملح أو كاري. وأنا في المنزل صعبة جداً. وغالباً ما تدمدم جدتي عليّ:

- توقفي عن قضم طعامك تَكَرُّهاً، وابذلي جهداً لتذوّق ما في صحنك.

ولا يمنع أنها تتدبر دوماً أن تطبخ أطباقي المفضّلة. أما في الولايات المتحدة فما من شيء طيّب فعلا، ما عدا البسكويت، وألواح الشوكولا، والمعكرونة التي يسمّونها «باستا» هناك. وهذه، بالرغم من أنها ليست مبهّرة كفاية، إلا أنها ذات طعم على الأقل. وهناك نوعان من المعجنات، البيضاء كلّياً والتي لم أحبها كثيراً، وتلك التي فضّلتها وهي ذات صلصة حمراء مع

الخضار. مضيتُ وأزهار بعد الغداء لاستكشاف المكان، وبعد بعض الوقت، جاءت تاس لترانا في الفندق. وأخرجت، في غرفتي، رزمة من الفساتين لأختار من بينها.

- هاك، يا روبينا، قولي لي ماذا تريدين أن ترتدي لليلتك الكبرى.

يوجد عشرون على الأقل، ومع كل واحد ما يتناسق معه من حذاء ودبابيس أضعها في شعري. تفحّصتها وكل منها أجمل من الآخر. عجزت عن الاختيار وودت لو أنه يمكنني ارتداؤها كلّها! ووقع اختياري أخيراً على واحد من الحرير، باللون الأزرق السماوي، بلون مياه حوض السباحة نفسه تماماً. غير أنه كانت هناك مشكلة صغيرة مع الأحذية لأنها ليست على القياس. واتصلت تاس بشخص ما لإحضار حذاء آخر.

- لا تتحركي من هنا، سيأتي أحد لمساعدتك على الاستعداد. أراك قريباً سأذهب وأهتم بالآخرين.

وصلت سيّدة بعد ذلك بقليل، وساعدتني على ارتداء فستاني الجميل، ووضع حذائي، ثم سوّت فستاني قبل أن تعقد الشريط الكبير في الظهر. كذلك أخذت وقتاً طويلاً في تصفيف شعري، واختارت له ربطة شعر فضّية.

- ألن تبرّجيني؟

- آه، لا! فأنت على درجة كبيرة من الظرف هكذا! من الأفضل أن تكوني على طبيعتك، صدّقيني.

أُصبتُ ببعض الخيبة: فأنا أعشق تكحيل عيني. وهذه ربما ليست الموضة في أميركا. قالت لي إنّ الأولاد هنا لا يتبرّجون أبداً. ومن حسن الحظ أن لديّ الرسوم الجميلة بالحنّة التي رسمتها لي روكسار على يدي وساعدي قبل رحيلي. وضع عمي سترة جلبها معه: وهو ليس في حاجة إلى التأنّق مثلي كونه لن يحضر الاحتفال في القاعة الرئيسية. لم أتوقّف عن النظر إلى نفسي بإعجاب في المرآة الكبيرة. ونصحتني السيدة بالجلوس بهدوء حتى لا أجعّد فستاني قبل الحفلة. كنت أعتقد أن الأمر سيجري على غرار العرض الأول في مومباي، لكن من الواضح أنهم، في أميركا، لا يفعلون أي شيء مثلنا.

التقينا جميعنا في بهو الفندق. وكانت تانفي، الممثلة الطفلة التي تلعب دور لاتيكا وقد أصبحت أكبر عمراً، جميلة جداً بثوبها الوردي المعتّق. وارتدى جميع الصبية حلّة رسمية سوداء وقميصاً أبيض مع عقدة فراشة. وحتى أزهار المهرّج هذا تمتّع بمظهر فذّ... والتقطنا، في انتظار من يأتي ليقلّنا، الكثير من الصور على مقاعد المدخل الوثيرة. وقد تبادل الجميع الثناء. والتقطت لي الكثير من الصور في وضعيات مختلفة. وأخذ أزهار يمسك أحياناً بآلة التصوير، وأحياناً أخرى أمسك بها أنا. وصوّرَنا سيّدٌ من الفندق جميعنا معاً، أزهار، آيوش، تاناي، تانفي، أشوتوش، وأنا: كل الأولاد الممثلين في «فتى الأزقة

المليونير». وأراد رجل الفندق بعد ذلك أن تؤخذ له صورة معنا! وقد بلغت بنا الاستثارة حداً لم نتوقف معه عن الثرثرة عن الليلة الكبرى.

- إلى السيارة أيها الأولاد.

ليست أي سيارة. إنها طويلة جداً وتشبه قطاراً صغيراً مع نوافذ سوداء كي لا يتمكن الآخرون من رؤيتنا، ومساحة داخلية يمكنها أن تستوعب كل أولاد صفّي! لم أشاهد مثلها أبداً في مومباي. وقيل لي ماذا يُدعى هذا النوع من السيارات، لأن لها اسماً خاصاً، إلا أنني لم أعد أتذكّره، فهو معقّد جداً. صعد عمّي ووالدة أزهار في سيارة أخرى. وضيّفنا أنفسنا، ونحن في الطريق، عصير الفاكهة والكوكا كولا في أكواب وُضعت خصيصاً لنا فوق البراد الصغير... وبوصولنا إلى مسرح كوداك، حيث تجري مراسم الأوسكار، وجدنا أناساً هناك أكثر مما وُجد خلال العرض الأول في مومباي. المكان ضخم، والكاميرات موجودة من أجلنا منذ خروجنا من السيارة. والصحافيون كانوا أنيقي الملبس. شعرتُ بالسعادة وابتسمتُ للجميع. انتظَرَنا داني وباقي فريق الفيلم على السجادة الحمراء، وهناك رأيت برايتي زينتا، بفستان رائع من الساتان الأزرق، كما رأيت نساء رائعات تشبهن الباربي. حتى أن تاناي وأشوتوش، وهما الأكبر سنّا بيننا، أخذا في القفز وقد استبدت بهما الإثارة.

- أرأيتم جميع هؤلاء النجوم؟ ألم ترونهم؟

وأنا حزرت، طبعاً، أن جميع هؤلاء النساء بالفساتين

الرائعة والرجال بالبذات الرسمية هم من المشاهير، لكنني لا أعرف أحداً منهم. والحقيقة هي أنني لم أشاهد في حياتي كلها فيلماً أجنبياً واحداً. أخذ كل من فريدا بينتو وتاناي يهمسان في أذني، من وقت لآخر، عن الأشخاص ومن هم:

- انظري إلى تلك السيدة الطويلة الشقراء، إنها نيكول كيدمان!

- وهذه، هي بينيلوبي كروز.

لم يعرف أزهار، هو الآخر، جميع هؤلاء الأشخاص، وما إن يشاهد نجماً يوجّه إليه المصوّرون كاميراتهم، حتى يذهب ويطلب منه توقيعه. وعند هذه اللحظة التقيتُ أنجيلينا جولي، التي هنّأتني على دوري في «فتى الأزقة المليونير». احمرّيت سروراً واستغليّت الوضع لأطلب منها توقيعها وهي... طلبت توقيعي في المقابل! ولمّا شاهدتُ أ. ر. رحمن، مؤلف موسيقى فتى الأزقة، هرعت إليه:

- أردت أن أقول لك: إنني أعشق موسيقاك!

- شكراً، هذا يؤثّر فيّ كثيراً! وأنت مثّلتِ جيّداً، أتعرفين ذلك؟

انهال الصحافيون أيضاً عليّ بالثناء. ووقفوا بالصف ليطرحوا علينا الأسئلة. وأخيراً دخل الجميع إلى القاعة. حضر عمّي ووالدة أزهار الحفل على شاشة كبيرة في صالة أخرى. وجلسنا جميعنا معاً في الصالة الرئيسية، ونحن معلّقون بشفاه

الذين يحيون الأمسية. وأخذنا نصبح أكثر استثارة كلّما تم الإعلان عن أسماء الفائزين. وقد حاز «فتى الأزقة الميلونير» على عدة تماثيل صغيرة حتى الآن. وكانت إحدى لحظاتي المفضلة هي عندما صعد أ. ر. رحمن إلى المسرح ليغني جاي هو. وأنا أيضاً أخذت أغني، ولم أكن وحدي المسحورة بهذه الأغنية إذ بدا أن الجميع يعشقونها. وقد أسعدني فعلاً أنه لم يفز بأوسكار واحد بل بأوسكارين. وقلت في نفسي إنه لا بد وأن الأغنية التي غنّاها مشهورة فعلاً لتحصل على مثل هذه المكافأة.

بيد أنني عرفت أن المكافأة الأهم تأتي في النهاية:

- والآن، أوسكار أفضل فيلم!

عمّ الصمت التام، وصلّى الفريق كلّه أملاً منه في أن يكون «فتى الأزقة المليونير». مضى على الحفل أربع ساعات، وبات الانتظار لا يُحتمل. وتوجّب أيضاً سماع لائحة المرشحين، ثم فُضّ المغلّف الصغير.

- And the winner is... (والفائز هو...)

بلغ التشويق أوجه. صررت شفتي وقطعت أنفاسي.

- «...فتى الأزقة المليونير»!

صحنا جميعنا، في وقت واحد، من الفرح وأخذنا نعانق بعضنا البعض إلى أن نهض داني ليصعد إلى المسرح ونحن نتبعه. حيّانا الجمهور، ولم يتوقّف عن التصفيق. ولما كنت في

آخر المسرح، رفعني ديف باتيل حتى لا يفوتني شيء من المشهد. ثم مرّ الأوسكار من يد إلى يد، ووجدت نفسي وأنا أرفع التمثال الصغير في الهواء. وها أنا، روبينا علي، موجودة في أميركا وأحصل على واحدة من أكثر المكافآت مكانة في العالم... ونحن لم نكسب من جوائز الأوسكار واحداً، بل إننا كسبنا ثمانية![1] ففي مدينة الأكواخ يحلم جميع الأولاد في أن يصبحوا ممثلين. وإذا أمكن لفتاة صغيرة من مدن الأكواخ أن تحصل على الأوسكار، فهذا يعني أن في وسع فتى الأزقة أن يكسب الملايين، أليس كذلك؟

مرّ ما تبقّى من السهرة بسرعة كبيرة بحيث لم أتمكن من فهم كل ما يحصل. وقد دُعينا جميعنا، بعد الاحتفال، إلى حفلة راقصة يقيمها الحاكم، وهو احتفال مهم جداً بحسب ما قيل لي. شربت القليل من الشمبانيا، وهي المرّة الأولى التي أشرب فيها الكحول... ولم يدر رأسي. فتح العم داني الزجاجة (وأوقع جزءاً منها) وسكب من ثم القليل للفريق بكامله. وأصرّ الجميع عليّ لأتذوّقها بما أننا نحتفل بفوزنا. وجلست في العشاء بين أزهار وديف باتيل الذي سخر منّي لمّا رأى منظري الخائب أمام طبقي:

- ماذا، ألا تحبّين البيتزا؟

---

[1] الفئات هي: التصوير، المونتاج، الموسيقى (المؤلف أ. ر. رحمن)، ميكساج الصوت، الأغنية الأصلية (جاي هو)، ملاءمة السيناريو للشاشة (سيمون بوفوي)، الإخراج (داني بويل)، وأفضل فيلم.

- لا . . .

- ممتاز سآخذ قطعة منك إذاً!

وأنا على أي حال لم أشعر بجوع كبير. بل رغبت أكثر ما يكون في النوم. فمن تقديم جوائز الأوسكار، والخروج من المسرح تحت أضواء الفلاشات، ومقابلات الصحافيين، والتهاني من هذا وذاك، وقطع المسافة حتى مقر الحاكم. . . والعيد في أول بدايته: فبعد العشاء انضممنا إلى سهرة في أحد الفنادق، ثم أخذونا إلى فندق آخر، وآخر أيضاً. . . وفي كل مرّة نرقص لخمس دقائق ثم نغادر. وانتهى بي الأمر وقد اكتفيت من ذلك. وكان أزهار وآيوش في حالتي نفسها. ويوجد في كل مكان صحافيون يريدون الحديث معنا، وبعد فترة طفح الكيل بأزهار وغضب:

- رجاء، لا أسئلة، أريد أن أنام! دعوني وشأني أخيراً!

أما أنا فبقيت هادئة، وشعرت بثقل في جفوني. وبعد خمس حفلات ولا أدري كم من المقابلات، عدنا أخيراً للنوم. خلعت ثيابي الجميلة في غرفتي، وانسلّيت إلى غرفة أزهار حيث التصقت به وبأمه. وفي غضون ثانية واحدة غفوت.

٧

أميركا!

- هاي، أيها الأولاد، أيهمكم الذهاب لرؤية ميكي؟

استيقظنا في اليوم التالي متأخرين بعض الشيء، وقد أنهكتنا إثارة جوائز الأوسكار. وبقيتُ لا أصدق أن هذا كلّه يحصل معي، وشكرت الله لأنه تركني أعيش يوماً كهذا. دخلت تاس إلى الغرفة تطلب منّا أن نسرع لأننا سنذهب جميعنا لزيارة منتزه اسمه ديزني لاند، ولن نفعل سوى التسلية طوال النهار. لم يسبق لي أبداً أن ذهبت إلى منتزه للألعاب، سوى ذلك الموجود وراء مستشفى بابا حيث يأخذنا أبا أحياناً لنلعب على المرجوحة أو الزلاّقة. لم تكن لدي أية فكرة عمّا ينتظرني، سوى أنني سررت بنهار من الماستي (التسلية).

لم أعرف شيئاً عن ممثلي هوليوود، لكنني أعرف جميع شخصيات ديزني لأنني أشاهد الرسوم المتحرّكة على التلفاز. سُررت حقاً لمقابلة ميكي ودونالد أكثر من سروري بنجوم سهرة مساء أمس. استعدّ جميع الأولاد وذهبنا مع عمي ووالدة أزهار

وتاس والحراس الشخصيين الذين يتبعوننا منذ وصولنا إلى لوس أنجلوس. وأنا لا أفهم لماذا نحتاج إلى حرّاس شخصيين: ومن سيريد إنزال الأذى بنا في هذا المدينة؟ ولكن لا بأس، فأنا مع ذلك نجمة كبيرة والفيلم الذي مثلت فيه أحرز جوائز الأوسكار.

وصلنا إلى ديزني لاند قرابة ساعة الغداء. وبالرغم من أنني تكهّنت بأنها ستكون كبيرة، فإنني لم أحزر إلى أي حد. لا بد وأن المنتزه يكبر مدينة أكواخي بألفي مرّة، وربما أكثر. وأنا، في كل يوم أقضيه في أميركا، وفي كل زاوية شارع، أحظى بمفاجأة جديدة. إنه مكان رائع، إضافة إلى أننا قد نقول أنه يخلو من الفقراء.

لا يشبه هذا المنتزه أياً من الأمكنة التي رأيتها من قبل. وهو، من الداخل، عالم على حدة. اشتروا لنا التذاكر وقالوا إن في وسعنا تجربة ما نريد من الألعاب. كان هناك العشرات منها، وقد نويت فعلاً أن ألعب بها كلّها. أخذ ميكي وغيره من شخصيات الرسوم المتحركة في التنزّه في الشوارع، وكانوا ظرفاء لدرجة أنني صافحتهم. ورقصت من ثمّ مع ميكي ودونالد، وكان ذلك مضحكاً. لم أعد أعرف أين أدير رأسي وفي أي لعبة أبدأ. وهي تعمل كلها على البجلي (الكهرباء)، وليس كالأرجوحات التي تحتاج إلى من يدفعك فيها.

لم يسبق لي أن تسلّيت بهذا القدر في حياتي مثلما تسليت بما يدعونه رولاّ كوستا (القطار المنحدر). عشقت ذلك! ونحن نصعد في عربات صغيرة تسير على سكّة ونضع حزاماً حتى لا

نسقط. تنطلق تلك العربات الصغيرة بهدوء إلى أن تصل إلى فوق، ثم تبدأ في النزول بضجيج هائل ونشعر عند هذا الحد أننا سنتحطّم. هذا رائع. أخذ الجميع في الصياح، خصوصاً عندما نصل إلى أعلى المنحدر ثم نبدأ في النزول فجأة وبأقصى سرعة. وجدت ذلك ممتعاً جداً! أصبح عمي، الجالس بجانبي، أبيض من الهلع. واعتقدت، لما نزلنا، أنه سيتقيّأ لشدة ما أصيب به من دوار. ولما اقترحت عليه العودة، رفض بشدة. ولم يشأ بعد ذلك حتى الصعود إلى المركب. أما أزهار، فأؤكّد لكم أنه لما نزل لم يكن مزهوّا بنفسه. فهذه القطارات المنحدرة هزّته كثيراً.

لم تجرّب والدة أزهار أي لعبة، خصوصاً بعدما شاهدت رولاّ كوستا.

احتفظ أزهار في أميركا بعادته الوسخة في السخرية منّي بتسميات غبيّة. لهونا طبعاً معاً، لكنه كان في أغلب الأحيان مزعجاً جدّاً. وهو يحب أن يستحمر الناس إلى درجة أن والدته أخذت تفقد صبرها لمّا رأته يلعب دور المهرّج بلا توقّف.

- أمي، أمي، أمي، أمي... العبي دور الشبح أرجوك.
- هذا يكفي، يا أزهار. اهدأ.
- أمي، أرجوك!
- دعني وشأني!
- أمي، أمي، أمي، أمي، العبي دور الشبح!
- كلاّ!

وأحياناً توافق والدته لشدّة ما تسمعه يصرّ. وفي أحيان أخرى أتواطأ معه. وأوافق دوما على مسألة الشبح لأن والدته تشبه الشبح حقّاً عندما تقلب عينيها إلى الوراء فتصبحا بيضاوين تماماً، فيما أزهار يركض في كل الاتجاهات وهو يصيح «هووووووو». ونأخذ في الضحك كالمجانين. ولا أتردّد في المقابل في البصق عليه عندما يصفني بالروتين[1] المعفنة». وعندما يجري الصحافيون مقابلة معنا، كلّ على حدة، أسمعه يجيب:

- روبينا؟ آه،لا! أنا لا أحبها، أترون كم هي قبيحة؟

وأخذت أعطي النوع نفسه من التعليقات عندما يسألونني عن أزهار:

- أزهار؟ رأس اليقطينة هذا؟ إنه لا يُطاق!

ونحن نتدبّر، بطبيعة الحال، أن نقول هذا الكلام المسيء بصوت مرتفع ليسمعه الآخر. وفي إحدى المرات، عندما اعتقد أزهار أنني أنظر في الاتجاه المعاكس، فهمت أنه يقول:

- روبينا؟ أراها جميلة، نعم. وهي أيضا لطيفة.

وعلى أثرها قلت أنا أيضاً أموراً لطيفة، والكاميرا تلعب دور الوسيط. وهذا كان كلّ شيء.

---

(١) عجّة محشوّة بالكاري.

وإن كنت لم أسمع ونحن على رولا كوستا كلمة «وجه السعدان!» ولا كلمة «شاباتي»... فلأن الهلع الشديد الذي أصيب به منعه من فتح فمه! بينما أردت، أنا، أن أعيد الكرّة من دون توقّف، وودت أيضاً لو أن رولاّ كوستا تسير بسرعة أكبر. أحببت أيضاً جولة الرعب كثيراً: كل شيء في الداخل مظلم ورهيب، خصوصاً عندما يلاحقنا الشبح بسيفه! وقد أعدت الكرّة مرّة تلو الأخرى، إلا أن عمّي لم يحب هذه اللعبة كثيراً ولم يفهم كيف أجدها ممتعة. وجرّبت مع مادور، الذي يلعب دور سليم المراهق، لعبة على شاكل بيضة وفي داخلها مقعدان. توجّب علينا ارتداء معطف ووضع حزام الأمان. وأخذت البيضة تتحرّك، من ثمّ، بسرعة كبيرة جداً، فننقلب جانباً، لنجد أنفسنا بعد ذلك رأساً على عقب... تحرّكت في كل الاتجاهات وغطّى شعري عيني. أتساءل كثيرا كيف يتوصلون إلى تخيّل أمور كهذه... وفي إمكاننا، في حالة الطوارئ، الضغط على زر فتتوقّف البيضة على الفور. ولم نضغط، أنا ومادور، أبداً على الزر. لكن كم صرخنا في المقابل!

ثم أخذونا لنتناول الهمبرغر الذي يشبه فادا باف، من دون الطعم، وبطاطا طويلة مالحة. غير أنني لم آكل شيئاً.

ولما عدنا إلى الفندق حوالي الساعة الحادية عشرة كنت مُنهكة، ولكن سعيدة: فنادراً ما تسلّيت بهذا القدر. أعشق أميركا، إنها فعلاً بلاد الأحلام.

في اليوم التالي أخذ العم داني الفريق بكامله إلى الشاطيء.

كانت المياه زرقاء داكنة وتبدو أكثر نظافة بكثير من المياه في بلادي. تسلّى داني معنا، بل إنه شارك أيضاً في الألعاب مثل الفتى. وقد ربحت دبّاً من الفرو في إحدى الألعاب التي يُفترض أن تثير فينا الخوف. ولم ألمس، عند الغداء، لفائف الدجاج في صحني، فهي لم تعنِ لي شيئاً يُذكر. الطعام مختلف جدّاً، وأنا لست معتوّدة على كل ما لا تدخله التوابل. ولا يمنع بأن هذا النهار، وهو الأخير الذي أمضيه على الأرض الأميركية، كان ممتازاً، فالجميع مسترخون وسعداء. وفي المساء أخذتنا تاس للتسوّق في المدينة، في مبنى كبير يضم الكثير من المتاجر وتحيط به الأنوار من كل جانب. فكل شيء في أميركا مترامي الأطراف... وهناك أيضاً درج غريب من نوعه، نقف عليه جامدين، ويصعد وحده.

اشتريت، ببعض الدولارات التي أعطتني إياها تاس، كنزة برتقالية لوالدي، وهذا كل شيء، إذ لم تكن لدي رغبة في المزيد من التسوّق. وعدت إلى السيارة لآخذ، خلال الانتظار، قسطاً من الراحة وغفوت فجأة. ولما وصل الآخرون كنت أغط في نوم عميق.

حصل جميع الأولاد على حقيبة ظهر حمراء. لم أعرف قط ما تحتويه، غير أنني لمّا فتحتها لم أستطع تمالك نفسي من الصراخ، لأن فيها آلة تصوير وحاسوباً محمولاً... حاسوب، هلاّ تدركون؟ سأكون الوحيدة في بندرا التي تمتلك واحداً. وأنا لا أعرف بعد كيف يعمل، لكنني سأتعلّم. وازداد أملي بمستقبلي

باطراد. وأصرّ داني أيضاً على أن نأخذ معنا تذكارات صغيرة لأقاربنا، وحصلنا أزهار وآيوش وأنا على لعب فيديو.

جاء العم داني في اليوم التالي لوداعنا في الفندق. سنعود إلى مومباي، وهي إذاً المرّة الأخيرة التي أراه فيها. حزنتُ جداً لمغادرته، خصوصاً وأنني لا أعرف متى ألتقيه ثانية. تحدّث معي لبضع دقائق بالإنكليزية، غير أن لوفلين لم تكن موجودة لتترجم، ولم أفهم كل شيء. وقلت له: «شكراً، يا عم داني، على كل شيء»، ورحل من بعدها. أحسست بغصة في حلقي. فهذه الأيام الأربعة تميّزت بالمتعة. ولكنني واثقة من أني سأعود إلى أميركا وأرى الكثير من الأمور الرائعة الأخرى. ثم أن لدي فيها الآن أصدقاء من المشاهير! ولولا أبي الذي ينتظرني في الهند لبقيت طيلة حياتي في أميركا.

٨

فتاة الأوسكار

أدركت أهمّية جائزة الأوسكار لما نزلنا في مومباي، في ٢٦ شباط/فبراير، واستقبلنا الحشد الضخم والصحافيون في المطار كما لو أننا أكبر نجوم العصر. فالصياح، وضجيج آلات التصوير، والسيارات الضخمة التي استأجرها الإنتاج، والشرطة التي واكبتنا عبر المدينة، كانت كلّها عصيّة على التصديق. سوى أنني لم أستعجل كثيراً العودة إلى مدينة الأكواخ. وقال لي والدي في السيارة بعد انطلاقنا من المطار:

- وهذا أيضا لا يُقارن بالاستقبال المخصص لك في مدينة الأكواخ. الجميع ينتظرونكما، أزهار وأنت. أنتما مشهوران الآن!

سارت الأمور، بالنسبة إليّ، بأسرع مما يجب بعض الشيء. وصرت في حاجة إلى التقاط أنفاسي قبل مواجهة العالم. لكن أبا، وحيال مظهري القلق بعض الشيء، قال موضحاً:

- لا تقلقي، فنحن لن نعود فوراً، بل سنأكل شيئاً في بندرا قبل ذلك.

ونحن، من الناحية العملية، لا نذهب أبداً إلى المطعم، لكن والدي على استعداد للقيام باستثناء في يوم استثنائي مثل هذا اليوم. أمكننا، ولا أعرف كيف، تضييع السيّارات التي تتبعنا. وذهبنا إلى مطعم مسلم أحبّه، وقد سُرّ الجميع، لكنني كنت متعبة وأحن إلى أميركا. طلبت لحم الخروف برياني: وها أنا أتناول أخيراً شيئاً طبيعياً، وهذا البرياني اللذيذ فتح شهيتي. وأخذت آكل ملء فمي وبسرعة، ولم يتوقّف أخي بالتالي عن السخرية مني.

- أميركا، ماين خان كو كوش ناهي ميلا؟ (ألم يطعموك شيئاً في أميركا؟)

لم أكن في مزاج للمزاح وتشاجرت مع عبّاس. وبلغ بي الغضب حداً لم يعد معه أبي وشقيقي الصغير يطرحان الأسئلة بالرغم من أنهما أرادا أن يعرفا كيف كانت رحلتي. لقد أزعجني جميع هؤلاء الناس الذين ينتظرونني في مدينة الأكواخ والصحافيون الذين لن يدعوني وشأني...

ذهبنا، بعد المطعم، إلى الجامع. لم يكن يوم جمعة، إلا أن والدي أصر على أن نذهب جميعنا للصلاة معاً لنحمد الله على ما فعله من أجلنا، ولم يكن من أحد في الجامع. ركعت في القسم المخصص للنساء، وقد أفادتني الصلاة في الصمت وفي القدرة على حمد الله لأنه اختارني أنا بالذات. لكن الهدوء

لم يعمّر. ما إن خرجنا من الجامع للذهاب إلى بندرا، حتى كان رهط من الصحافيين في انتظارنا وتبعنا حتى مدخل مدينة الأكواخ. وهناك أصبت بصدمة، فلم أكن مستعدّة لاستقبال من هذا النوع. كما لو أن سكان بندرا الشرقية تواعدوا على اللقاء على مقربة من خط السكّة الحديد لرؤيتي. ركضوا جميعهم صوب سيارتنا وطوّقونا. حتى أنه استحال علينا الخروج منها! ورقص الأولاد من حولنا وهم يصيحون:

- روبيينا! جاي هو! جاي هو!

حضر جيراني وأصدقائي. هتف الجميع لي ونظروا إلي كما لو أنني إلهة. سُررت لكونهم سعداء إلى هذا الحد من أجلي، وشعرت، وأنا أنزل الادراج التي تحدد بداية مدينة الأكواخ، بالأيدي تتلمّسني. إنها الفوضى التامة: أراد الناس جميعهم الاقتراب منّي، لكن الصحافيين كانوا الأسوأ لأنهم كادوا يقفزون عليّ بآلات التصوير الضخمة. رغبت في قتلهم جميعاً لشدّة ما تزاحموا عليّ من كل الجوانب. سحقوني ولم أعد أتمكن من التنفّس. ومن حسن الحظ أن والدي تدبّر الأمر وأمكننا أن نمر وهو يطلب من الناس أن يتحرّكوا لنتمكّن من بلوغ منزل عمّي. استغرقنا الأمر نصف ساعة فيما يتطلّب خمس دقائق في العادة. ساد جو من العطلة في مدينة الأكواخ، وأخذنا نسمع موسيقى «فتى الأزقة المليونير» في كل مكان والناس يرقصون، وباختصار بدا الأمر أشبه باحتفال كبير. لكنني بتّ منهكة بعد كل ذلك الوقت الذي استغرقته في السفر وفي تبديل الطائرة، وأردت

الهروب من الحشد. وتناهى إليّ فجأة أن عددنا، كأناس يعيشون في الهند، كبير، وأكبر بكثير من عدد الناس في أميركا.

ما إن وصلت إلى بيت عمّي حتى جلست على السرير لأستوعب هذا كلّه، وسمعت الناس يصيحون في الخارج ثم يحاولون الدخول. تسلّقوا على بعضهم البعض ليتمكّنوا من رؤيتي. وتدافعوا بشدة للدخول بحيث أنهم لو استمرّوا في ذلك فسينتهي الأمر بكوخ عمي إلى الانهيار. حاولت أن أخبر عن الأوسكارات وعن أميركا، لكن عدد الصحافيين كان كبيراً وأخذوا يتحدّثون كلّهم في وقت واحد، وشعرت بالضياع. وبلغ بي التوتّر حدّاً أخذت معه، بعد فترة، في البكاء من دون أن استطيع التوقّف. أعتقدُ أنه طفح بي الكيل من ترداد القصص نفسها المرّة تلو المرّة. لم أفهم سبب هذا الاستعجال، حتى لكأن نهاية العالم ستحصل إذا لم يتحدّثوا إليّ فوراً.

- كيف كانت أميركا؟ كيف كانت أميركا؟

يقع منزل عمّي في شارع لا يبلغ عرضه أكثر من متر واحد وتوجد على امتداده قنوات للمجارير. وقد اعتدنا على الاهتداء إلى طريقنا وسط هذه المتاهة من الشوارع الصغيرة التي تذهب في كل الاتجاهات. لكن الصحافيين نسوا أمر المجارير والقنوات وهم يتدافعون ليكونوا أول من يجري معي المقابلة. وفجأة سمعت صراخ امرأة. استداروا جميعهم خلال جزء من الثانية، وأدركت أن إحدى الصحافيات انزلقت على الأرض الرطبة ونزلت رجلها مباشرة في المجرور المليء بالمياه الضاربة

إلى السواد، وبالأوساخ وبالكثير من القاذورات السائلة، والمليئة بالبكتيريا التي تطفو على السطح. ولهذا من مصلحتنا أن ننتبه أين نضع أقدامنا. وخرجت المرأة من السائل الوسخ والمنتن بمظهر مريع. وأخذت تصرخ:

- يجب أن أنظّف نفسي فوراً! ألديكم ماء وصابون؟ أرجوكم، ساعدوني، بسرعة!

لم تكن مشمئزّة وحسب بل خائفة فعلاً، كما لو كان سيغمى عليها بين دقيقة وأخرى. واغتسلت بأفضل ما يمكنها بالقليل من الماء الذي أعطاها إياه عمّي. وهي اللحظة الوحيدة في ذلك النهار التي وجدتُها مسلّية. وهذا برأيي، خير ما حصل لها! ثم إنني وددت لو يقع الآخرون جميعهم في الحفرة. قلق والدي عليّ، وحاول أن يشرح لي أن جميع هؤلاء المراسلين موجودون هنا لأنني أصبحت شخصية مهمة الآن.

- روبينا، لم أنت على هذا القدر من الغيظ؟

- لا أدري، ولا أفهم ما يريده هؤلاء الناس منّي.

- يهتمون بك، وهذا طبيعي.

- لكنني لا أعرف ماذا سأقول لهم! لن أتمكّن من ذلك أبداً!

- اهدئي يا ابنتي.

اكتظّ الشارع أمام منزل عمّي بالصحافيين وامتد صفّهم على شارعين آخرين أيضا. خرج أبي للتحدث معهم:

- ستجيب روبينا على كل أسئلتكم، لكن عليكم المرور الواحد تلو الآخر.

تمددت على سرير عمّي، وتحدّثت حتى أعياني ترداد الأمر نفسه، وجف فمي، ولم أعد استطيع الاستمرار. لم تتملّكني سوى رغبة واحدة: النوم. لكن ماذا في مقدوري أن أفعل؟ لم يرد جميع هؤلاء الناس الرحيل. وقد طفح بي الكيل حقاً إلى أقصى الحدود.

- ماذا أكلت هناك يا روبينا؟ وبمن التقيت؟

ظنّنت فعلاً أنهم يقومون بعملهم وحسب. وتوجّب علي أن أخرج، بين مقابلتين، لأتخذ أوضاعاً للتصوير فيأخذوا لي لقطتين أو ثلاث. واستمر الازدحام في الخارج وصفّ الانتظار لا يصغر. انتظر بعض الصحافيين عند الطريق ليتقلّص الصفّ فيأتون بعدها ويطرحون الأسئلة عليّ. وانشغلَ من لم يتمكنوا من إيجاد مكان لهم في تصوير مدينة الأكواخ التي بدت أنها تفتنهم جميعهم، في ما عدا، الذين يقيمون هنا، طبعاً.

أوقع أحد الصحافيين آلة تصويره في المجرور، وآخر دفتر ملاحظاته، والثالث مذياعه! وأنا، بعد الرفاه الذي عرفته على مدى تلك الأيام القليلة، أفهم اشمئزازهم. فحتى أنا، لم أسرّ أبداً بالعودة إلى هذه الشوارع المقرفة.

طلب والدي، في حوالي الساعة الحادية عشرة مساء، من الجميع الذهاب، لكن الحشد أصرّ: «رجاء، رجاء...» لكني كدت أسقط من النعاس ولم يعد يسعني شيء حيال رجائهم.

- آسف، لكن روبينا أمضت يوماً طويلاً وتحتاج إلى النوم. ستستأنف ابنتي المقابلات في الغد.

ذهب بعضهم وهم متذمِّرون، لكن الآخرين تفهّموا. أعادني والدي إلى منزلنا، على بعد شارعين من هنا، وارتميت على الحصير على الأرض، وسط أخوتي، وقد فقدت القوة على تبادل ثلاث كلمات مع عائلتي. أعدّت مونّي الشاي في السابعة من صباح اليوم التالي. وذهب شقيقاي لجلب الماء، كما في كل صباح، من عند جدتي. ولما عادا حذّراني:

- روبينا، ووه ريبورتر آ غاي سار هاي. (روبينا، جميع المراسلين باتوا هنا).

- كاون؟ (من؟)

- كاميرا والا، باهوت سار هاين. (الناس ذوو الكاميرات. يوجد الكثيرون منهم).

سيصيبني جميع هؤلاء الناس بالتوتّر، هذا مؤكّد، ولن أتمكن من الذهاب للاستمتاع في الخارج. وكان النهار أشبه بالأمس مليئاً بالمقابلات، وكذلك النهار الذي تلاه. وحصل طلب كبير أيضاً على والدي وعائلتي. وبما أن وسائل الإعلام لم تتمكن من التحدّث إليّ طويلاً، فإنها أخذت بعد ذلك تذهب لتطرح الأسئلة على عائلتي. وكذلك اقتفى المراسلون آثار أزهار. أرادوا معرفة كل شيء عن حياتنا، ويومياتنا في مدينة الأكواخ، وآلامنا، وأحلامنا. وشعر سكان بندرا بالإطراء لرؤيتهم أن هناك من يهتم بهم.

على مدى ثلاثة أيام صور الصحافيون الشوارع ومنازل الحي وطرحوا الأسئلة على الكثير من الجيران. ولما رحلوا أخيراً، تمكن أصدقائي من المجيء لرؤيتي. وأخبرهم عمي، محي الدين، عن سفرتنا. أمضت سنا وعبّاس وكل رفاقي الذين لم يتمكنوا بعد من طرح الأسئلة عليّ الكثير من الوقت معي. أرادوا معرفة أدق التفاصيل عن أميركا، والنجوم الذين التقيناهم على السجادة الحمراء، وكيف جرى الاحتفال، وديزني لاند... ولم أدرك، إلاّ في هذه اللحظة، مدى عظمة الحصول على أوسكار. فقد شعر الجميع بالفخر بـ «فتى الأزقة المليونير».

لم يسبق لأناس مدينة الأكواخ أن سمعوا بجوائز الأوسكار قبل أن يتسمّروا أمام الشاشة ليلة الاحتفال كما في مباريات الكريكت بين الهند وباكستان. إذ يبدو الأمر في الهند، لدى المباريات بين البلدين المتنافسين، كما لو أن الجميع في عطلة. وأخبرني أبي أن الجو كان مماثلاً لحفل الأوسكار.

أعيد بث الاحتفال مباشرة في الرابعة فجراً. ودعا، من كانوا يمتلكون تلفازات، جيرانهم، لأن ما من أحد أراد تفويت الاستعراض. بل إن والد أزهار استأجر تلفازاً قديماً وضعه في الخارج، أمام كوخه، ليتمكن أكبر عدد من الناس من الاستفادة منه. وحضر الصحافيون في ذلك اليوم لأنهم أرادوا الاطلاع مباشرة على ردّات فعل السكان. أما والداي فذهبا إلى بيت عمي وزوجة عمّي مع باقي العائلة وجميع الجيران الذين تمكنوا من الدخول.

كان الجميع في حالة من الإثارة القصوى، بالرغم من أنهم لا يفهمون من الإنكليزية سوى Slumdog Millionaire (فتى الأزقة المليونير) وبضع كلمات أخرى. وقد توتّرت مونّي كثيراً في موضوع النتائج بحيث لم تتمكن من ابتلاع لقمة واحدة طوال السهرة. ولمّا أعلن التلفاز أخيراً أن أوسكار أفضل فيلم هو لفتى الازقّة، شرع الجميع بالصياح وبتقبيل بعضهم البعض. وسعدت عائلتي جداً لمشاهدتي على المسرح مع باقي الفريق، ووجدوني جميلة جداً. وجرت الأمور في النهاية تماماً كما في الفيلم عندما يعلن بريم، مقدّم برنامج الألعاب التلفزيوني «كاوت بانيغا كروريباتي؟» (من سيربح المليون؟)، مباشرة أن جمال مالك ربح للتو عشرين مليون روبيّة[1]. وأدت رؤية فتاة صغيرة من مدينة الأكواخ وهي تحصل على مكافأة دولية في بلد مثل أميركا، إلى شعور الجميع بالاغتباط. وانتشر الخبر كالنار في الهشيم، بحيث أنه، وفي خلال دقائق قليلة، جاء الجميع لتهنئة والدي بمن فيهم من لم يتمكنوا من مشاهدة التلفاز. رقص الناس على أنغام جاي هو، وارتجلوا الخطوات الراقصة للفيلم، وتم توزيع الملبّس احتفالاً بالحدث. وهرع والدي في اليوم التالي مسرعاً إلى الجامع لتلاوة صلاة خاصة لله وحمده على مباركته لي بهذا الشكل.

صرت، في أمسية واحدة، محط. وأصبح الجميع يعرفون الآن اسمي ومكان إقامتي. يُنادى عليّ في الشارع ويهنّئني أناس

---

(١) حوالى ٣٠٠ ألف يورو.

لا أعرفهم ويسألون عن أحوالي. وأصبح لي الكثير من الرفاق الجدد ولم يعد أحد يطلب العراك معي. أصبحت الأميرة الصغيرة لمدينة الأكواخ!

بعد أيام قليلة على عودتي، فوجئ والدي بوصول خورشيد، والدتي.

- ماذا جئتِ تفعلين هنا؟

- أتيت لرؤية روبينا، مضى وقت طويل ولم أرها فيه.

- وأصبحتِ الآن تهتمّين لابنتك؟ بعد كل تلك السنوات؟ ليس وارداً أن تريها. إذهبي!

عادت أمي في اليوم التالي، لكنني لم أرد مخاطبتها. فهذه المرأة غريبة بالنسبة إلي، وهي تهتم لأمري الآن لأنني أصبحت مشهورة. أرادت أن تكون تحت الأضواء.

- آسف، ولكن بات لابنتي عائلة.

جعلت جوائز الأوسكار أولئك الناس مجانين! استُقبلنا، أزهار وأنا، في المدرسة، كالأبطال، وأصبحنا مثالاً يُحتذى للجميع. جعلتنا المعلّمة نخبر عن سفرتنا أمام الصف، وطرح علينا التلامذة الكثير من الأسئلة. فَتَنَ الهوس بجوائز الأوسكار جميع الأشخاص الذين ألتقيهم. أصبحنا أخيراً نجوماً كباراً، وهذا رائع!

٩

حياتي الجديدة

منذ الفوز بالأوسكارات وهاتف والدي الجديد لا يتوقّف عن الرنين طلباً لمقابلات مع الصحف الأجنبية أو لتقديم عروض عمل. واضطررنا بالتالي، بعد معاودتنا الدراسة، إلى تفويت بعض الحصص من أجل فيلم آخر. لم يستغرق التصوير هذه المرة سوى بضعة أيام. إذ تعلّق الأمر بدور صغير في فيلم «كال كيسني ديخا؟» (من الذي رأى الغد؟)، الذي لم أعرف موضوعه. كان علينا أن نصوّر، أزهار وأنا، بعض المشاهد التي تتحدث عن أنه، ونحن نعود من أميركا بعد حفل الأوسكارات، يتلقى مطار مومباي إنذاراً بوجود قنبلة. استمتعنا جدّاً بلعب أدوارنا الحقيقية، غير أنه فيلم بوليوودي كلاسيكي مع البطل الذي ينقذ الجميع إلا الشرّير طبعاً. وهي مع ذلك تجربة جميلة، ثم إنني أعشق وجودي أمام الكاميرا.

وما أن انتهى التصوير حتى طرنا، أزهار وأنا، باتجاه نيودلهي للمشاركة في عرض أزياء للمصممتين أشينا ولينا. وقد

باتت حياتي أشبه بالرولاّ كوستا، إعصار حقيقي، مع أناس مهمّين ألتقيهم، وأفلام أصوّرها، والآن تقديم عرض مثل عارضة الأزياء... لم يسبق لي أبداً أن ذهبت إلى عرض للأزياء، لكنني شاهدت واحداً في فيلم فاشون، وأعرف بالتالي بعض الشيء كيف هو الأمر. وقد استبدت بي الاستثارة القصوى لفكرة لعب دور عارضة الأزياء خصوصاً وانني أعشق الثياب الجميلة. رافقتنا والدة أزهار ووالدي، وبوصولنا أُخذنا إلى فندق خمسة نجوم، في غرفة فسيحة جداً تطل على منظر رائع. وبالرغم من أنني أخذت أعتاد على هذا النوع من الأماكن الرائعة ولم يعد الأمر يفاجئني كثيراً، فإنه يبقى من ممتعاً زيارة أماكن جديدة وبخاصة أن نيودلهي هي عاصمة الهند، بحسب ما قال لي والدي.

كان على والدي زيارة شخص ما، وذهب بسرعة. وما إن خرج حتى ارتديت قميص نومي وذهبت للنوم مع أزهار ووالدته، كما في لوس أنجلوس. وفي اليوم التالي ازدردت فطوري بسرعة لأذهب بأسرع ما يمكن إلى حوض السباحة. وصعدت من جديد إلى الغرفة وأنا أركض:

- أزهار!

- ماذا؟

- أسرع، يوجد حوض للسباحة!

- رائع! سأصل!

لم نبقَ طويلاً في الماء لأن والدي صاح:

- روبينا، أزهار، اخرجا من الماء فوراً! لديكما موعد مع صونيا غاندي!

فهمت، بسماعي نبرة والدي، أنه لا مجال للنقاش.

انتظرتنا سيارة في الأسفل ومضينا مسرعين لأنه لا يجب أبداً ترك شخصية مهمّة تنتظر. وشرح لي والدي، خلال الرحلة، بأن صونيا غاندي هي نيتا (امرأة سياسة) مهمّة جداً ورئيسة حزب المؤتمر. اجتزنا في طريقنا الكثير من المواقع الشهيرة وأراني والدي بوابة الهند. يوجد منتزه جميل جداً حول هذا النصب وفيه الكثير من الناس، ويضم أيضاً مستنقعاً للرحلات بالقارب. وجدتُ دلهي أقل اكتظاظاً من مومباي. ومررنا، على الطريق المؤدية إلى صونيا غاندي، بشوارع عريضة مليئة بالأشجار الجميلة.

وصلنا أخيراً عند هذه السيدة الكبيرة التي تقيم في منزل واسع الأرجاء مع حرّاس مسلحين في كل الأماكن. وهذا طبيعي عندما يكون المرء شخصية مهمّة مثل صونيا غاندي. مررنا، قبل الدخول، بالكثير من حواجز التدقيق الأمنية وتم توجيهنا إلى صالون يضم الكثير من الصور الفوتوغرافية. كانت الرئيسة تقرأ وهي جالسة في إحدى الأرائك. وما إن دخلنا الغرفة حتى أخذ عدد كبير من الكلاب يدور من حولنا. بل إنني رأيت أيضاً ببغاء! وطلب منّا رجل من الأمن ألا نقترب كثيراً من الكلاب، إذ يمكن أن تعضّنا. وكانت هذه الكلاب ضخمة جداً، وأكبر

بثلاث مرّات على الأقل من الكلاب الشاردة في مدينة الأكواخ.

وقد تأثرنا، أزهار وأنا، كثيراً سواء بالحيوانات الضخمة أو بالسيدة الأنيقة الملبس المتجهة صوبنا بابتسامة عريضة.

- روبينا، أزهار، أهلاً بكما في بيتي، أنا مسرورة للقائكما.

- صباح الخير، يا سيدتي.

- أشكركما على مجيئكما حتى هنا. فأنا مصرّة على تهنئتكما على العمل الذي قمتما به في هذا الفيلم. هذا رائع.

- شكراً يا سيدتي.

وانتهى اللقاء بعد مصافحة باليد، وبعض الابتسامات، والتقاط صورة. وحاولت صونيا غاندي طمأنتنا بأن كل شيء سيكون على خير بالنسبة لنا، ثم رحلنا. وكنت فخورة مع ذلك للقائي شخصية سياسية على هذا القدر من الأهمية. ويمكنني أن أقول للرفاق أنني ذهبت إلى منزلها، وهذا أيضاً أفضل من التحدّث معها وحسب!

ذهبنا بعد اللقاء إلى عند أشيما ولينا للتجارب. إنها فيلا واسعة الأرجاء، وهي ولا شك أجمل ما رأته عيناي. لديهما حوض السباحة الخاص في الحديقة وتمثالان ضخمان لفيلين. وقد زُيِّنَتْ كل غرفة في الداخل بالكثير من الحاجات والسجاد والأثاث. ألوان الجدران رائعة، وكل شيء مثالي، وحتى

الصحون والأكواب متناسقة. أضف إلى ذلك أن أشيما سيدة لطيفة جداً. ما إن وصلنا حتى طلبت منا الجلوس لتناول الفطور، وقد حضّرت الفروج البيرياني، يام! كنت جائعة وسررت باقتراح تناول الفطور. وأخذتنا أشيما، بعد الفطور، إلى الصالون لترينا البذات التي سنرتديها في المساء. وقد اختارت لأزهار شرواني أسود، وهو نوع من المعاطف الطويلة الذي يصل إلى الركبتين، ومزرّر من الأعلى ويتم ارتداؤه في العادة في حفلات الزفاف أو في المناسبات الكبرى. وقد طُرز معطف أزهار برسوم حمراء، وله أيضاً سروال متناسق معه. لكن ثوبي كان أجمل بكثير! وقد وقعت على الفور في غرامه. وهو فستان، مزيج من الطراز الهندي والغربي، طويل وواسع، مصنوع من سبعة أو ثمانية كشاكش، وقد لُوّن للغاية بالأحمر، والأخضر المائل إلى الزرقة، والبرتقالي والكثير من الألوان الأخرى. وفي الأعلى صديرية من دون أكمام مطعّمة بالحجارة من كل الألوان. قالت لي أشيما إنّ هذا الفستان فريد من نوعه، وإنّ لينا صممته من أجلي، ومن أجلي فقط. لم أتوقف عن الضحك لشدة ما بلغت بي السعادة. كان الثوب رائعاً ويناسبني جداً.

- هيّا حاولي التحرّك الآن. ففي هذا المساء ستسيرين على طول منصة العرض.

تساءلت كثيراً عمّا هي منصة العرض. وشرحت لي أشيما أن الأمر على درجة كبيرة من البساطة. ليس علينا سوى أن

نمشي مشياً طبيعياً على طول المسرح، وما إن نصل إلى طرفه حتى نتوقف لثوان قليلة ونستدير ليرى الجميع الثياب من كافة الزوايا، ثم نعود في الاتجاه المعاكس.

لم أعد أستطيع الوقوف في مكاني وأردت التدرّب على الفور. قمت ببضع خطوات ويدي على خصري وأنا أحاول أن أكون رشيقة ومبتسمة. وقمت، طبقاً لتوجيهات أشيما، بالتوقف للحظة، ثم استدرت وأنا أجعل فستاني يتطاير في الهواء. وقالت لي أشيما:

- ممتاز، يا روبينا!

أما أزهار، فبدا غير مرتاح. وقف منتصباً كالوتد ونسي أن يستدير! ولم أتمكن من منع نفسي من الإنفجار في الضحك. ولم أتوقف عن الاستدارة لأجعل التنورة تطير من حولي.

- أعشق هذه التنورة، فهي جميلة جداً!

- أنا مسرورة لأنك أحببتها، يا روبينا. إنها رائعة عليك.

- هل يمكنني الاحتفاظ بها؟

- طبعاً، فهي لك!

- شكراً! شكراً جزيلاً!

أنا متأكدة أن ما من أحد يملك تنورة بهذا الجمال. ولن أتمكن طبعاً من ارتدائها في مدينة الأكواخ حيث أعيش، لكنني سأجربها أمام أصدقائي ليرونني فيها. ومن يدري، بعد كل تلك

السهرات الراقية التي شاركت فيها في الأوقات الأخيرة، إن كانت ستتاح لي فرص أخرى؟

وبعد التجارب، أجرى الصحافيون مقابلات معنا. وجلس أزهار على واحد من تمثالي الفيلين ليجيب عن أسئلتهم، فيما لم أشأ فعل ذلك مخافة أن أتسخ. وأُعدنا إلى الفندق لنرتاح بعض الشيء. ثم توجهنا بعد ذلك إلى فندق آخر حيث سيُقام العرض. وهذا حدث كبير، والجميع على قدر كبير من الجمال ويرتدون ملابس جميلة. وبوصولنا، توجّهنا إلى الكواليس للاستعداد. كانت خبيرة التبرج في انتظارنا، وهي التي وضعت البودرة على وجهي، والبلاش الأحمر على خدّي، واللون الوردي اللماع على شفتي. وعُلّقت في شعري المآنغ تيكّا، وهي سلسلة صغيرة تثبّت إلى أعلى الرأس وتنحدر على الجبهة وتُستخدم لوضع حلية فيها. وكان هذه المرة حجر كبير بلون المرجان ينزل إلى منتصف الجبهة ويكمل الزي بشكل ممتاز. ثم ارتديت التنورة والقسم الأعلى ولم يتبقّ سوى الإكسسوار الأخير، وهو زنار ثقيل جداً مؤلف من حجارة كبيرة متعددة الألوان. وتم الأمر، وها أنا جاهزة ولا أتوقّف عن النظر إلى المرآة.

ركضت إلى الجهة الثانية لمراقبة العارضات اللواتي يستعدون في الغرفة الأخرى. كانت هناك نساء جميلات جداً، وطويلات القامة جداً، مع كعوب عالية وبذّات رائعة مثل الرداءات الحريرية أو المخملية الطويلة بألوان الأحمر أو الأزرق

أو الأخضر، وأيضا الكرتاس (عباءات) المطرّزة باللمعات وباللؤلؤ وبالحجارة... وقد خلبتني رؤية كل هذه الثياب الجميلة. ابتسمت النساء لي واقتربت الكثيرات منهن للثناء على فستاني.

ما إن بدأ الاستعراض حتى أصبح الجو مكهرباً، وصار الجميع في تزاحم شديد. واعترانا، أزهار وأنا، بعض القلق. وتم في النهاية دفعنا إلى منصة العرض. وعلى الفور أعطتنا النوطات الأولى لجاي هو - الخلفية الموسيقية التي عُزفت أثناء استعراضنا قوة دفع جديدة، ولم يعد في وسعنا التوقف. أحببت ذلك الشعور كثيراً.

ومنذ الخطوات الأولى شرع الجمهور بالتصفيق والصياح. وأخذت، عند نهاية المنصة، أدور وأدور وأدور، ثم اتخذتُ بعض الوضعيات أمام المصوّرين. وأخذ جميع الصحافيين يقولون: «واحدة بعد، يا روبينا!» أما أزهار فوقف منتصباً مثل الألِف، أنفه في الفضاء ويداه على خاصرتيه، كما لو أنه أميتاب راكشان بشحمه ولحمه! ساد جو رائع، وأخذ الجميع في التصفير. ثم رقصنا بعض الشيء على أنغام جاي هو ووقف الجمهور، المسرور جداً، للهتاف لنا. بل وُجد في القاعة من غنّى الكلمات بأعلى صوته! أصابنا الأمر بالنشوة، وأردنا ألاّ ينتهي ذلك أبداً. استمرينا في اتخاذ وضعيات للتصوير وفي الرقص، وأعتقد أننا بقينا أكثر مما يجب، لأن أشيما ولينا جاءتا سعياً في طلبنا وللانضمام إلى هذا الجو الجنوني.

وأخذ الصحافيون بعد ذلك يطرحون علينا الأسئلة، وقد أرادوا معرفة رأينا في العرض. ثم اقترب عدد كبير من الأشخاص لتهنئتنا وطلب تواقيعنا. وهذه هي المرة الأولى التي يأتي فيها هذا العدد الكبير من الغرباء للتحدث معي.

أحب والدي الاستعراض كثيراً ولم يتوقف عن القول لي إنه كان ممتازاً. وبالكاد توفّر لنا الوقت لتناول بعض الطعام في العشاء المقرر بعد ذلك. كان استعراضاً رائعاً، وقد أثلج صدر أشيما ولينا اللتين شكرتانا مرّة أخرى. وودّعنا بعضنا البعض مع وعد باللقاء في يوم من الأيام. ثم أُعِدنا إلى الفندق لتوضيب حوائجنا قبل المغادرة إلى المطار حيث طرنا، في المساء إلى مومباي. كان نهاراً رائعاً. وأنا متيقنة من أن عائلتي شاهدت الاستعراض في المنزل، إلا أنني لا أطيق صبراً على الانتظار لأريهم ثوبي.

لم أبقَ هذه المرّة كثيراً في بندر، لأنني غادرت على الفور إلى أودايبور، في راجستان، لتصوير فيلم دعائي مع نيكول كيدمان، وهي دعاية لمشروب ما. وقد سُررت لأنني سأرى وأتعلّم الكثير من الأمور الجديدة. وقد تذكّرتُ تلك السيّدة الفارعة الطول ذات البشرة البيضاء كالحليب التي التقيتها على السجادة الحمراء في لوس أنجلوس. وقفزت من الفرح لما اتصلت ناتاشا ديدي، من فريق إنتاج «فتى الأزقة المليونير» بوالدي لتقترح عليه هذه الدعاية. سأصوّر مع إحدى نجمات هوليوود، ولكن أيضاً مع أرجون رامبال! وهو نجم كبير

وأعشقه، وبخاصة في فيلم أوم شانتي أوم، الذي يمثّل فيه أيضاً شاه روخ خان. وفي هذا الفيلم يلعب أرجون رامبال دور الشرير. ولأول مرّة لا يأتي أزهار معي وقد سرّني ذلك جدّا. ورافقني عمّي في هذه السفرة التي ستستمر خمسة أيام. ومن ثم ستكون ناتاشا ديدي، فنانة التبرّج في «فتى الأزقة المليونير»، هناك، وأنا أحبها كثيرا. وقد اطمأنيت لعلمي بوجود شخص أعرفه.

كان مطار أودايبور أصغر بكثير من المطارات التي سبق أن عرفتها. وانتظرنا رجل بالبِزّة الرسمية عند مخرج الطائرة، ونُقلنا مباشرة إلى مكان التصوير في فندق «تاج ليك بالاس»: وهو قصر سابق للمهراجا حُوّل إلى فندق فاخر، وموجود في وسط البحيرة تماماً. وجاء مركب لينقلنا إليه، وهو مركب جميل، ومن فوقه غطاء من القماش كالستارة. سبق لي أن انتقلت بالقارب من كالكوتا إلى قرية مونّي، إلا أنه هذه المرة مركب خاص! ولما تطلّعت من حولي رأيت أنه لا توجد إلا قصور، كبيرة جداً وجميلة جداً. وفكّرت في الناس الذي يمضون أوقاتهم في داخلها. لا بد وأنهم يتيهون لضخامة هذه القصور. كم أحب لعب الغمّيضة فيها، ولا بد أن يكون الأمر ممتعاً جداً فيها. إنه، بالنسبة إلي، مكان أشبه بقصص الجنّيات. وقلت في نفسي أنه لو اقتضى أن اختار أين أعيش، فسأقيم هنا.

ما إن وصلت إلى الفندق حتى التقيت الفريق بكامله في إحدى القاعات. تعرّفت على الفور على ناتاشا، وقد سررت

جداً للقياها من جديد! أما نيكول كيدمان، فكانت جالسة في إحدى الأرائك، وشعرها الذهبي اللون منسدل حتى ظهرها، ونظرها شارد بعض الشيء. وما إن رأتني حتى نهضت صوبي، بجمالها الأخّاذ في ثوبها الأبيض الطويل.

- Hello, I am so pleased to meet you. How are you?

- (مرحبا، أنا مسرورة جداً للقائك. كيف حالك؟)

- Well, thank you. (بخير، شكراً لك).

أصبحت، بعد الأشهر القليلة التي قضيتها في مدرسة أسيما، أعرف بضع جمل أساسية في اللغة الإنكليزية. ولكن يصعب عليّ جدّاً فهم إنكليزية الأميركيين، لأنهم يتحدّثون بطريقة تختلف جدّاً عن معلّمتي.

أدركت، برؤيتي نيكول كيدمان، أنها تشبه الدمية، دمية جميلة جداً بحق. لم يسبق لي أن التقيت بأحد بهذا الطول الفارع. تبدو جميع نساء مدينة الأكواخ صغيرات أمامها! فبشرتها، وشفتاها، ويداها، كل شيء كامل لديها. وقلت في نفسي إنني لو مسستها فسأوسخها. وكان أرجون رامبال هنا هو الآخر. ولما صافحته أثنى كثيراً على تمثيلي في « فتى الأزقة المليونير»، حتى أنني احمرّيت خجلاً. وأخيراً جاء مخرج الدعاية ليعرّف عن نفسه:

- صباح الخير، أنا شيخار.

- صباح الخير، أنا روبينا.

- آه، أعرف ذلك، فقد سمعت عنك كما تعرفين!

وأنا من جهتي لم أسمع أبداً بهذا الشيخار كابور، لكن ناتاشا ديدي قالت لي إنه مخرج كبير جداً[1]. وشرح لي شيخار، بعبارات قليلة، موضوع هذه الدعاية.

- يتعلّق الأمر بإعلان من إنتاج ريدلاي سكوت لتسويق مشروب غازي جديد بالزنجبيل. ولا يستغرق الفيلم سوى دقيقتين ودورك فيه مهمّ. ستقوم ناتاشا بتبريجك، لأقول لك بعد ذلك ماذا يتوجّب عليك القيام به.

وتساءلت عمّن يمكنه أن يتناول مشروبات بالزنجبيل، لكن لا بأس، فالأمر لا يشكّل مفاجأة فعلاً طالما أن للأميركيين على أي حال أذواقاً غريبة. وبعد التبرّج، جاءت سيّدة لتساعدني على ارتداء تنّورة طويلة سوداء مع قميص صغير أحمر مطرّز باللآلئ، وهو زي راجستاني نموذجي، على ما يبدو. جدّلت المصفّفة شعري ووضعت على رأسي «مآنغ تيكّا» ثقيلاً من الفضة. ووضعوا لي أيضاً حزاماً حول خصري وعلّقوا عقداً حول عنقي. كان الزيّ رائعاً. وقد فضّلت ثوبي ومظهري على ثوب ومظهر نيكول كيدمان التي ارتدت مجرّد فستان أبيض، والقليل جداً من

---

(١) شيخار كابور هو، بصفة خاصة، مخرج بانديت كوين Bandit Queen وإليزابيث، مع كيت بلانشت.

التبرّج. ولما سمعتني السيدة التي ساعدتني على ارتداء الملابس وأنا أُبدي إعجابي بالثوب، أوضحت لي:

- تعرفين أن في وسعك أخذ الثوب معك، بعد التصوير، إذا أردت.

- آه، شكراً!

وقد استُثرت كلّياً لحصولي على ثوب أميرة جديد لي وحدي فقط. ولم يعد لدي في خزانة ثيابي سوى فساتين من مصممي الأزياء، واه! يا للرفعة!

استقلّ عمّي المركب عائداً وسط سحر كل رفاه المكان وجماله. أطلعني روخشار على دوري. وكان عليّ وحسب أن أسير بين الراقصين، وأنا معجبة بهم وأنظر إلى نيكول كيدمان. ثم يُفترض بي أن أمسك بيدها وأركض، ليس بسرعة كبيرة، في أحد أروقة الفندق. ثم ننزل أحد الأدراج ونحن لا نزال ممسكتين بالأيدي. ونصل إلى منصّة والماء من أمامنا، كما في مركب. وهنا تُفلتُ نيكول كيدمان يدي، وأنا أتحسسها، وقد بهرتني مجوهراها وجمالها. يجب عليّ التصرّف كأنني مفتونة بها وبالنور الذي ينبعث منها، ثم أقوم، وبلطف، بملامسة خديها كما لو أنني أتأكد أنها حقيقية فعلاً، وأبتسم لها عند هذه اللحظة وأنا أشاهدها ترحل بالمركب. وأظهرُ من جديد، بعد هذا المشهد، وهي تتناول المشروب بالزنجبيل. وهذا كلّ شيء لهذا اليوم على أن تبدأ التجارب أمام الكاميرا في صباح الغد.

علمت أن نيكول كيدمان تريد التصوير فقط ما بين السادسة

مساء والسادسة صباحاً، وإذا لم تفعل ذلك، سيحضر الكثيرون من «الباباراتزي» (المصوّرون الذين يلاحقون المشاهير). وقد تم حتى الآن إطلاعنا على الموضوع واستكشفنا المكان. غادرتُ وقد تأخّر الوقت. وأنا، على عكس نيكول كيدمان، لا أنام في فندق البحيرة. ووصلنا إلى فندقي وقد حلّ الليل، ووجدته على الفور جميلاً جداً، وهو قصر ذو غرف رائعة والشموع تملأ كلّ مكان. وهناك غرفتان، واحدة لعّمي والأخرى لي، وفي كل منهما جهاز تلفاز، وثلاجة ملأى بالمشروبات والشوكولا، وسرير ضخم. ذهب عمّي للنوم، وبقيت لوحدي في غرفتي. وفي هذه اللحظة بالذات افتقدتُ أزهار للغاية. ولو انه ووالدته هنا لذهبتُ للنوم معهما. فقد شعرت ببعض الخوف لقضاء الليل وحدي، وبما أنه لا خيار آخر لدي، تركت النور مضاءً وتسلّقت إلى السرير وأنا أفكّر في الغد وأنتظر ببعض القلق أن يدركني النوم.

قفزت من السرير في اليوم التالي وقد ارتحت لاستمراري حيّة. ونزلت لتناول فطوري مع عمّي.

- تعرفين، يا روبينا، أننا لسنا على عجلة من أمرنا. فالتصوير لن يبدأ إلا في وقت متأخر ولن يأتِ أحد في طلبك قبل انتهاء فترة الصباح. امرحي في الانتظار!

سُررت لإمكاني القيام ببعض الاستكشاف. فالفندق أكثر جمالاً في الصباح، وساورتني رغبة في القيام بجولة. لم أعد حتى إلى غرفتي، بل اندفعت صوب الشرفة المطلة على حوض

السباحة، لأن المشهد منها كان رائعاً. الطقس مشمس ومثالي للاستحمام، ولذلك لم أرد تضييع ثانية واحدة. إلا أنه لا يوجد جاكوزي وحوض صغير كما في أميركا. وبما أني لا أعرف العوم والمياه تبدو عميقة، اضطررت إلى نسيان أمر السباحة. لم أسرّ كثيراً، سوى أنني استعجلت، بدلاً من ذلك، بالعودة إلى غرفتي لتناول الحلويات ومشاهدة التلفاز. وفي النهاية، ذهبت بعد الظهر إلى قصر البحيرة. وهناك سئمت للغاية لأن التصوير لن يبدأ إلا في المساء. قمت بالكثير من النزهات في الفندق الجميل جداً بنوافذه الزجاجية من كل الألوان وهي رائعة فعلاً. وأحببت كثيراً النظر من خلالها حيث تأخذ الأشياء لوناً مختلفاً. قُدّم لي الطعام، لكنه لم يكن طيّباً جداً، وشربت أكثر ما يكون ليترات من المشروبات من كل الألوان. ومن حسن الحظ أن ناتاشا جاءت تبحث عنّي لتحضيري. ووصلت نيكول كيدمان في النهاية. لم تأتِ لرؤيتي ولا مرة واحدة في خلال فترة بعد الظهر. وقد اعتادت وحسب على النزول لتصوير المشهد قبل أن تسارع من جديد إلى الصعود إلى غرفتها. وقد أخطرتني ناتاشا:

- إنها لا تشعر بأنها على ما يرام، أعتقد أن الطقس حارٌ جدّاً عليها. وهي تفضّل البقاء في غرفتها.

وأحببتُ أن ألعب وأثرثر قليلاً معها. وتمرّنا في تلك الليلة على تسلسل لقطاتنا. وطُلب منّي أن أركّز على التعابير التي أتخذها. ورقصت أيضاً بعض الشيء في المشهد الأول. غير أنه وُجدت راقصات محترفات بالزي المحلّي أكثر موهبة من نيكول

ومنّي. عشقتُ التفرّج عليهن وهن يدرن. وأنا، في الأفلام، أفضّل دوماً المقاطع الراقصة. راقبت بانتباه أولئك الراقصات الراجستانيات لأتذكّر بعض الخطوات وتعليمها لأنسبائي عند عودتي إلى منزلي. وقد أصبحنا، عمي شيكار وأنا، رفيقين، وهو بالأحرى راضٍ عن عملي. الأمر الوحيد الذي لم أحبّه هو اضطراري إلى الانتظار طويلا جِداً أثناء النهار إلى أن يحين موعد التصوير.

عدت إلى فندقي، كالليلة السابقة، متأخرة بعض الشيء. وتسكّعت في اليوم التالي في المكان من دون القيام بالكثير حتى المساء. وهذه المرّة صوّرنا بالأزياء. وارتدت نيكول كيدمان الفستان الأبيض نفسه الذي ارتدته في اليوم الأول. وغطت قطعة قماش ناعمة بيضاء سحرية كتفيها. ووضعتْ مجوهرات رائعة أكدت لي ناتاشا ديدي بأنها ماسات حقيقية. وكانت النجمة تأخذ، بين لقطتين، فترات استراحة طويلة تحيط بها جميع مساعداتها. ولديها الكثير منهن إضافة إلى عشرات الحراس الشخصيين، لم تحب كثيراً الانخراط مع الفريق، وهي لا تكاد تقول شيئاً عندما تكون هنا.

أُصبتُ سريعاً بالسأم، وتكرر الأمر في الأيام التالية. تبقى نيكول كيدمان في غرفتها طوال النهار بسبب الحرّ، وأنا أجول طوال الوقت في كل مكان، إلى أن عرفت في النهاية كل زوايا الفندق وأصبح لدي بعض الأصدقاء من بين موظفيه. لم يعجبني الطعام، وهو يشبه ما يُقدّم في أميركا، وحتى الأطباق الهندية

كانت تنقصها التوابل وليس لها طعم. وأعتقد تمام الاعتقاد بأن جدتي وزوجة عمّي هما أفضل طباختين في العالم... واسيت نفسي في النهاية بالكوكا كولا وبالمثلجات.

مرّت الأيام الخمسة تلك ببطء شديد، وأنا لا أستعجل إلا شيئاً واحداً وهو الانتهاء من هذا التصوير لأعود إلى مدينة الأكواخ الملأى بالناس المسلّين.

١٠

للبيع

أبلغني والدي في أحد الأيام، وأنا لا أتوقّع ذلك، أن شخصاً جاء من مكان بعيد جداً لمجرّد التعرّف إليّ.

- روبينا، تريد زوجة أحد الشيوخ العرب لقاءك!

- وما هو الشيخ، يا أبا؟

- أنه نوع من الأمراء الكثيري الثراء. وهما يقيمان في دبي، وترغب زوجته في لقائك.

- دبي؟ وأين تقع؟

- بعيداً جداً من مومباي، لكنها ليست بعيدة قدر بعد أميركا.

سُررت بهذا القدر من الاهتمام بي. وقال لي والدي إن هذه المرأة أُعجبت بي جداً وهي تشاهد «فتى الأزقة المليونير». بل إنها بكت أيضاً وهي تشاهد الفيلم. وهي، على ما يبدو، اتصلت هاتفياً قبل ذهابي إلى أميركا لتدعونا، عائلتي وأنا، إلى

قضاء بضعة أيام في دبي. لكن أبا رفض الدعوة لأننا لا نملك جوازات سفر ولا نعرف أي شيء عن هذه المرأة. وقال لي والدي إنه لا يمكننا أن نزور أياً كان هكذا، بالرغم من أنني كنت سأفرح كثيراً بزيارة بلد آخر. وأنا فخورة، على أي حال، بأن لي معجبة مستعدة لقطع كل هذه المسافة لرؤيتي، وهذا أمر ذو شأن. لقد تلقّيت حتى الآن التهاني من سياسيين مهمّين؛ ومن ممثلين مشهورين في بوليوود؛ وأجرى صحافيون من العالم كلّه مقابلات معي، لكن لم يأتِ أحد من مثل هذا المكان البعيد لمجرّد أنه وجدني رائعة في الفيلم. ثم إنني أرى جيّداً أنها ليست مجرّد معجبة كالآخرين بل هي أميرة عربية من دبي. وجدت بعض الصعوبة في تصديق الأمر، لكن ما سهّله هو أنني لست أي نجمة، بل إنني واحدة مشهورة جداً. ابتسم والدي لرؤية مظهري الحائر.

- أتريدين، إذاً، لقاءها؟

- طبعا... هل ستأتي إلى منزلنا؟

- أفضل من هذا: لقد دعتنا إلى فندقها، وهو فندق ذو خمسة نجوم.

- رائع!

منذ سفري إلى أميركا، نزلتُ في الكثير من الفنادق الكبرى، في مومباي وسواها. وكان يعجبني، في كل مرّة، اكتشاف أمور جديدة، وأماكن غير مألوفة، وأجد دوماً طريقة أتسلّى فيها. هرعت فوراً إلى أنسبائي لأخبرهم، وهم الذين

سمعوا الكثير من الروايات عن القصور وكل الرفاه الذي فيها والذي ينعكس على نزلائها أنفسهم. ولم تحدُ محسن هذه المرة سوى رغبة واحدة: رؤية ذلك بنفسه.

- قولي لي يا روبينا، أتعتقدين أن في وسعي المجيء معكم؟

- لا أعرف، اسأل أباك.

وافق والدي وعمّي من دون مشكلة. فسرَّ كثيراً، وأمضى ساعات ليقرر ماذا يرتدي من ثياب. وتسمّر، وقتاً طويلاً أمام المرآة يجرّب الكثير من تسريحات الشعر. لم نكن سوى مجرّد مجموعة صغيرة: أبا، وعمّي، وابن عمّي، وقريب بعيد يدعى العم راجان. اضطررنا إلى الصعود في دراجتين من ذوات العجلات الثلاث، استغرقنا الأمر نحو ساعة للوصول إلى المكان المقصود، وهو فندق «ليلا». إنه قصر حقيقي، ضخم، وأكثر رفاهاً حتى من فندق جوهو. ارتديتُ ثوباً برتقالياً وأبيض جميلاً. واستقبلنا، عند مدخل الفندق، رجل ذو لحية سوداء، عرّف عن نفسه بأنه السكرتير الخاص للشيخ الذي، وللأسف، لم يتمكن من المجيء. واقترح علينا، بلطف كبير، أن نتناول شيئاً، ثم تبعناه إلى الغرفة التي تنتظرنا فيها زوجة الشيخ. وشاهدت، بدخولي الغرفة، امرأة بالبرقع، فهذه الأميرة هي إذاً من بنات ديننا. وسأتحدّث أخيرا مع المعجبة بي...

Welcome, Rubina, I'm so pleased to meet you! –
(أهلاً، يا روبينا، أنا مسرورة للغاية بلقائك!)

- Hello! (مرحباً!)

بدت المرأة لطيفة، وطلبت منا الجلوس على الأرائك. وقمت، فيما الجميع يجلسون، بجولة حول الغرفة المترامية الأطراف، والمزيّنة بأناقة.

تولّى العم راجان الترجمة لنا، لأنه يعرف التحدّث بالإنكليزية.

- هل هناك ما يطيب لكم، أيها الأولاد؟ يمكنكم طلب كل ما تشاؤون.

- أيمكن الحصول على المثلجات؟

- والحليب المخفوق مع الفريز؟

- كل ما تريدونه.

تطلّعت الأميرة إليّ كما لو أنني من أعاجيب الدنيا السبع. ولم تتوقف عن تهنئتي على دوري في «فتى الأزقة المليونير».

- آه، يا روبينا! لو تعرفين كم بكيت عندما شاهدت الفيلم! كنتِ رائعة.

- شكراً.

صبغني الاحمرار وقد سرّني كثيراً سماع هذا. طرحت عليّ السيدة الكثير من الأسئلة، وأرادت معرفة كل شيء عن التصوير. حدّثها أبا، الفخور جداً، عن تجربة الأداء الكبيرة التي نظّمها العم داني في مدن الأكواخ في مومباي للعثور على ممثلين

صغار لفيلمه، وكيف أنه تم اختياري من بين ألف وخمسمئة ولد، فأومأت برأسها مُعجبة. ثم قدّم لنا الحليب المخفوق. وقد سررنا، ابن عمي وأنا، كثيراً، فهو يأتي للمرة الأولى إلى مكان كهذا. أنهينا شرابنا فيما يواصل البالغون نقاشاتهم بمساعدة من راجان، وشرعنا في استكشاف الغرفة.

- هاي، أرأيت شاشة البلازما على الجدار؟

- والسرير، هل سبق أن شاهدتِ سريراً بهذا الكبر؟

نعم، سبق لي أن رأيت ذلك في أميركا، بل ربما كان أكبر منه بقليل. ذهبت ومحسن للجلوس على طرف الفراش ونحن نحاول القفز لتقويم مدى ليونته. أشارت إلي الأميرة العربية بالاقتراب، وقد سلاّها الأمر، وناولتني ثلاث علب كبيرة من الشوكولا، فأتى ابن عمّي على عجل لمعرفة ما هي. فتحتها على الفور ومرّرتها على الجميع من حولي من دون أن أنسى تضييف نفسي على الطريق! وأعطتني السيّدة على الفور سلسالاً بلون الذهب مع قلاّدة، وجعلتني أجلس قبالتها لتضعها حول عنقي. لم أعرف إذا كانت من الذهب، إلا أنها على أي حال جميلة جداً. تأملت حليتي الجديدة بإعجاب وأنا أنظر إلى نفسي في المرآة. إلا أن أبي بدّد أوهامي سريعاً:

- اخلعيها، يا روبينا، الآن!

- لكن لماذا؟

- روبينا، أرجوك! لا يسعنا القبول بمثل هذه الهدية.

- حسناً.

أُصبت ببعض الخيبة، إلا أنه أمكنني على الأقل الاحتفاظ بعلب الشوكولا. وقرر والدي وعمّاي أن الوقت قد تأخر وحان الرحيل. وسألت السيدة، تلقائياً، في الوقت الذي غادرنا فيه الغرفة:

- أيمكنني أن آتي غدا لرؤيتك؟

- ولكن طبعا، يا روبينا، عودي مع عائلتك للغداء إذا كان ذلك يسرّك.

- شكراً... إلى الغد إذاً!

كان هؤلاء الناس رائعون حقاً، وسُررت بما يخبئه لي القدر. ثم إنه من النادر توفّر مناسبات للخروج من مدينة الأكواخ.

عدنا في صباح اليوم التالي إلى فندق ليلا. ورافقتنا هذه المرة رشما، ابنة العم راجان، إضافة إلى مونّي، زوجة أبي، التي ارتدت أجمل سلوار قميز (سروال وجلباب) أبيض لديها. وجاء معنا أيضاً أحد الجيران، ويجب القول إنه، بعد كل ما أخبره محسن لرفاقه بعد عودته، فلن يريد أحد تفويت فرصة كهذه! أما أنا فارتديت الجينز الذي جئت به من أميركا. وعلى غرار اليوم السابق، انتظرنا سكرتير الشيخ في البهو ليأخذنا إلى غرفة الأميرة. وذهبنا، نحن النساء، إلى الغرفة المجاورة ليتمكن الرجال من النقاش في ما بينهم. وما إن اصبحنا لوحدنا حتى

أمسكتُ بجهاز التحكم عن بعد وأنا أنظر إلى الأميرة متسائلة. فقد راودتني رغبة كبيرة في مشاهدة الرسوم المتحركة على شاشة عملاقة...

- هيا، متّعي نفسك!

وعلى مدى ربع ساعة جرّبت كل القنوات: وهناك الكثير منها! وقمنا، رشما وأنا، بجولة صغيرة. وقد دُهشت نسيبتي بضخامة الغرفة. وأحببتُ كثيراً مظهرها المندهش!

نادى علينا سكرتير الشيخ:

- هل أنتما جائعتان، أيتها الفتاتان؟

- نعمممم!

- المطعم من هنا. يوجد مقصف ضخم في انتظاركما.

تهيّأت وركضت بأسرع ما يمكن ثم تركت نفسي أنزلق على الأرضية اللماعة. حُجزت لنا طاولة في آخر المطعم، وكان المقصف في وسط الصالة ضخماً. أصابني جوع شديد، فملأت صحني حتى طفح. رغبت في تذوّق كل شيء، ولم أعد أشعر الآن بالجوع. لكن يوجد الكثير من الحلوى بدت كلّها طيبة جداً، ولم أستطع منع نفسي من تذوّق كل الحلويات ومن شرب ليترات من عصير المانغا. أعتقد أنني لم آكل بهذا القدر طوال أيام حياتي! وهذا أفضل بكثير من فنادق أميركا. لما عدنا إلى غرفة الأميرة، كان والدي وراجان في عزّ النقاش. وسمعت والدي يغضب، من دون أن أفهم لماذا. وقرر أبا أن علينا

الرحيل. ولاحظت، للمرة الأولى منذ البداية، أنه منزعج. ولم يتفوّه بأي كلمة ونحن نغادر الفندق، وسألته إثر ذلك:

- ما الأمر، يا أبا؟

- لا شيء، هؤلاء الناس ليسوا على ما يرام.

- لماذا؟

- قال لي السكرتير في الغرفة إن المرأة لا تستطيع الإنجاب وترغب في تبنّيك.

- تتبنّاني؟ ولماذا؟

- قال لي إنك بإقامتك في دبي ستحصلين على تعليم جيّد وعلى حياة راغدة. بل إنه طرح عليّ الكثير من المال...

- لكنني لا أريد الذهاب إلى دبي!

- أعرف ذلك جيّداً، وهو ما قلته لهم. كما أخبرتهم بأنني لا أرغب أبداً في الانفصال عن ابنتي!

فهمت عند ذاك لماذا بدا والدي على هذا القدر من الحنق. وما إن عدنا إلى منزلنا حتى اندفعت مسرعة إلى انسبائي لأخبرهم بمغامرتنا لأن ذلك كان يشكّل، في ذهني، أمراً يسمح لي بالتباهي. لكنني لم أكن مسرورة لوجود أناس يضمرون مثل هذه النوايا السيئة. وسبق لي أن سمعت الجيران وعمّي يروون قصصاً مفادها أن الأغنياء، في بعض البلدان، يحاولون شراء الأولاد ليحولوهم إلى عبيد لهم أو لإجبارهم على ممارسة

البغاء. شعرت بالخوف وأنا أفكّر بهذا كلّه، إلا أنني لا أجد صعوبة في استيعاب مثل هذه الأمور كوني ترعرعت في ظروف صعبة. بل إنني شاهدت أيضاً أموراً قبيحة تحصل لأناس، مثل فتيات تم تزويجهن وهن صغيرات جداً لرجال كبار في السن. وأنا في كل مرّة أخرج وأشاهد فيها ولداً يستعطي أشعر فعلاً بالتأثر. أعرف أنه يصعب عليهم تدبير حاجتهم من الطعام، ولو وجبة واحدة في اليوم. ثم إن هناك أناساً يعيشون في طرف مدينة الأكواخ داخل الأنابيب، ويجب الزحف للولوج إليها. وهي في الداخل مظلمة وكريهة الرائحة. فإذا أضفت فقدان الهواء وحضور مياه المجارير التي تقطر من كل مكان أصبح الأمر مأساوياً. إلا أنهم لا يملكون أي خيار آخر. أعرف أنني محظوظة لأن لدي أهلاً طيبين، مثل أبا ومونّي، يفعلون أي شيء من أجلي. وهذا لم يمنع أنني رأيت في تلك الليلة كابوساً أترك فيه عائلتي لأعيش في عالم غريب ومرعب. ولما استيقظت كنت أرتجف من الخوف. أوف! لم يكن ذلك إلا حلماً مزعجاً.

وهكذا، لما جاءت الشرطة في يوم الأحد التالي، لم أتخيّل ولو للحظة واحدة أنه يمكن أن يكون لذلك علاقة بزوجة الشيخ. لم أفهم ما يحصل. وقف الكثيرون من الصحافيين بالصف، ولم يتوقّف هاتف والدي المحمول عن الرنين. وبدا القلق على وجه زوجة أبي، مونّي. ثم أدرك والدي أن الناس الذين التقيناهم قد اخترعوا رواية مفادها أنه «ذهب إلى الموعد وفي نيّته بيع روبينا». أراد رجال الشرطة من والدي أن يرافقهم إلى المخفر، وكان لا يزال تحت وقع الصدمة، لكنه تبعهم. وتجمّع الحي كلّه لبشاهدوا

ما يجري. وبما أنها صبيحة يوم الأحد، فلم يكن لدى الناس الكثير ليفعلوه، وشكّل ذلك المناسبة المثالية للترفيه عن النفس بعض الشيء. وعلى ما يبدو، فإن والدتي، خورشيد، رفعت دعوى على والدي لسوء تصرفه وهو ينوي بيعي. وما إن أدلى والدي بشهادته حتى تركته الشرطة. بدا عليه التوتّر الشديد، وتولّد لدينا جميعنا الانطباع بأن الشيخ المزعوم وشريكته قد احتالا علينا. فلطالما وثقنا، عائلتي وأنا، بالناس، غير أن هؤلاء لا هدف لهم سوى وضعنا في مأزق. بلغ بي الحنق حداً كبيراً أردت معه التعارك مع جميع الناس.

- كانت سيدة فندق ليلا هذه، يا روبينا، أميرة مزيّفة. ادعى هؤلاء الناس أنهم آتون من دبي، غير أنهم في الواقع صحافيون حاولوا أن يخلقوا لي المشاكل. نشروا مقالاً في صحيفة أجنبية[1] وبثّوا فيديو على الإنترنت يتهمونني فيه بأنني حاولت بيعك. وأخبر أحدهم خورشيد بالأمر فاشتكت عليّ مطالبة بالوصاية عليك. ولهذا أرادت الشرطة الاستماع إلى إفادتي.

كنت على علم بما قالته هذه الأميرة الجوتي (الكذابة)، لأن الصحافيين أطلعوني على ذلك بالتفصيل. لكن الحماقات التي روتها أمي أثارت فيّ غضباً أكبر.

إنها مجنونة كلياً! أثارت فضيحة كبرى في مدينة الأكواخ بشتمها الجميع وصياحها:

---

(١) «نيوز أوف ذي وورلد»، ١٩ نيسان/أبريل ٢٠٠٩.

- أريد رؤية ابنتي! أريد التحدّث مع روبينا على الفور.

سمعت ذلك وقبعتُ، داخل كوخنا.

- روبينا! أعرف أنك هنا! اخرجي من عندك.

- كلاّ، لا أريد رؤيتك!

- روبينا، لا تصدّقي ما يُحكى عنّي، والدك يكذب عليك!

- لقد تخلّيتِ عنّي، ولم تعودي والدتي!

لم يكن والدي موجوداً، لكن زوجة أبي، مونّي، هي التي خرجت.

وتصاعد عندها صياح خورشيد:

- يا لك من عاهرة! أعرف أنك حاولت بيع ابنتي! لن تنجي بفعلتك! أريد الوصاية على روبينا!

ولمّا حاولت مونّي الرد على تلك الاتهامات، هاجمتها خورشيد. وكانت زوجة أبي حينها حاملاً في شهرها الثالث، فحاولت خورشيد أن تتسبّب لها بالأذى الجسدي. شرعتا في العراك في الشارع الضيق تحت أنظار الجيران وأمام إحدى الكاميرات. ترافستا، وشدّت خورشيد زوجة أبي بعنف إلى الخلف، وقام الجيران بتفريقهما. واتهمت أمي مونّي بممارسة السحر الأسود عليّ. تتحدّر مونّي من بنغال الغربية حيث مثل هذا الأمر شائع، وتدعي خورشيد أنها نجحت بواسطة هذا في الزواج من أبي والسيطرة عليّ. وقد سمعتُ أحاديث عن أناس

يمارسون السحر الأسود في مدينة الأكواخ لأنهم يحسدون الآخرين. وهناك نساء كثيرات يتخصصن في هذا الأمر، وهذا مخيف إلى حد كبير، لأنهن يأخذن قطعة قماش أو خصلة شعر تخص الشخص الذي يردن أن يستجلبن الأذى عليه بواسطة السحر. وهذا شائع إلى حد كبير في مومباي، لكن الناس الذي يقومون بمثل هذه الأمور في البنغال يعيشون في الغات (أماكن حرق الجثث) وهذا أكثر سوءاً بكثير. وأنا في النهاية لا أعرف ما الذي يخطّط له الآخرون، لكن مونّي ليست هكذا وهي تحبنا، والدي وأنا.

قبعتُ لبعض الوقت داخل المنزل، وقد قلبني هذا المشهد رأساً على عقب. وتم الآن، على ما يبدو، إحقاق الحق وبُيّضت صفحة والدي. غير أنني أصبحت أكره أمي أكثر من السابق.

لم تتوقف التلفزيونات والصحف، على امتداد بضعة أسابيع، عن التحدّث عن الموضوع العاري عن الصحة جملة وتفصيلاً بأن والدي باعني. ولم أعد أحب الصحافيين بعدما اتهموا عائلتي، لا لسبب إلا للفت الأنظار إليهم.

وفي النهاية هزّني بعض الشيء هذا كلّه إضافة إلى كل الوعود في الهواء التي أُعطيت لي من قبل.

أنا لست للبيع. والذين يدّعون العكس كاذبون. كوننا فقراء ونعيش في مدينة الأكواخ لا يعني أن والدي على استعداد لأي شيء لقاء المال. أبا يحبني، ولن ينفصل أبداً عنّي لقاء أي شيء في العالم.

١١

أكره الجرذان

لم تتغيّر حياتي كثيراً، لكنني أعرف الآن بوجود عالم أجمل بكثير من مدينة الأكواخ. عُدتُ، بعدما عرفت رفاه الفنادق الفخمة ومعاملتي كنجمة، إلى اللعب في الوحل وإلى الاستغراق في أحلام اليقظة. درّت عليّ الدعاية مع نيكول كيدمان وعرض الأزياء أقل بقليل من مئة ألف روبيّة[١] لكل منهما. فأبي لا يفقه شيئاً في هذه المجالات ولم يعرف بالتالي كيف يفاوض جيّداً. واكتفى، بالنسبة إلى «فتى الأزقة المليونير»، بالتوقيع على العقد وبالقبول بما عُرض عليّ. وانتهيت في مآل الأمر وفي جيبي نحو أربعين ألف روبيّة. لم يكن يُفترض أن يُدفع لي هذا القدر من المال في البداية، ولكن مع تأخّر التصوير أعطاني الإنتاج مالاً عن كل يوم. وقد حصلتُ عليه بدفعاتٍ صغيرة من أربعة آلاف أو خمسة آلاف روبيّة. ثم إن كل مال «فتى الأزقة المليونير» طار، عمليّاً، على المصاريف الطبية عندما كسر والدي كاحله.

---

(١) حوالى ١٣٠٠ يورو.

وأنا واثقة من أنه كان يُفترض أن أُعطى أكثر من أربعين ألف روبيّة ومن أن بارفيش استفاد من حادثة والدي. ومن حسن الحظ أن العم داني أعلن أنه سيهتم مالياً بأزهار وبي إلى أن نصبح راشدين. وأنا، شخصيّا، متأكدة من أن داني سيحترم كلامه، كما فعل دائماً.

لا أزال، حتى الآن، أعيش في كوخ صغير، وأتناول طعاماً بسيطاً جدّاً، وألعب على طول خط السكة الحديد، لكننا أهدينا أنفسنا متعة صغيرة: جهاز تلفاز جديد ذو شاشة مسطّحة. لا نزال نحتفظ بالقديم لكن صورته ليست بالجودة نفسها. وبما أن منزلي صغير جداً فقد وضعنا الشاشة المسطحة عند عمّي محي الدين حيث أقضي الكثير من الوقت. واعتقد أن عائلتي هي الوحيدة في الحي التي تمتلك تلفازاً مماثلاً.

فتح أبا حساباً مصرفياً باسمي في أحد بنوك بندرا. أرادني أن أوفّر المال من أجل مستقبلي، وأنا لا أعرف الكثير عن المال والمصارف. والفارق الحقيقي هو أنه لا يتردّد في إعطائي بضع روبيات إضافية. كنت في السابق أشتري ثياباً رخيصة وأقصد المحلات مرتين أو ثلاث مرات فقط في السنة، فيما أجوب اليوم غالباً المحلات وأشتري فساتين قد تكلّفني ما يصل إلى ثمانمئة روبيّة. أذهب الآن إلى السوق مرة في الأسبوع برفقة مونّي وأبا. وأعود كل مرّة بغرض ما: حقيبة، لعبة، أو تنّورة. ولم يكن أبا ليسمح لي بذلك أبداً قبل الفيلم، غير أنني أصبحت، على ما أعتقد، أتمتع ببعض الاستقلالية في

مصاريفي. وفي منزلي، أرتب ثيابي في أكياس من البلاستيك تعلّقها مونّي على خطّاف على الجدار. فهناك كيس للجديد، وآخر للقديم، وثالث لثياب المصممين. وأخرجها عدة مرات في اليوم وأبدّل ثيابي.

- ماذا تنفع كل هذه الثياب؟ انظري إلى نفسك فأنت لا تتمكنين حتى من الاختيار.

أنا لا أبالي. أحب كثيراً أن أكون جميلة، ثم إن جميع الممثلات يرتدين طوال الوقت ثياباً جميلة. عشقتُ التسوّق في أميركا، بالرغم من أن المحلات هناك لا تحتوي على الكثير من العناصر الزخرفية المُطرّزة. وأخبرني أحد الصحافيين أنه كُتب على الكنزة التي جلبتها لأبي من أميركا: «يمكن لكنزة واحدة أن تنقذ العالم». أعرف أنه لا يمكن للملابس أن تنقذ العالم، إلا أن المؤكّد هو أنها غيّرت حياتي. فعندما تتأنقين في لباسك، ينظر إليك الناس بطريقة مغايرة. أعشق أن يتم امتداح مظهري. بل إنني أضع الآن كريماً خاصاً حتى لا تسمرّ بشرتي، غير أن مونّي تصرّ أيضاً على أن أستخدم كريماً آخر يُدعى Fair and Lovely (شقراء وجميلة). لا أريد أن يصبح لوني برونزيّاً لأن بشرة ممثلات بوليوود بيضاء إلى حد كبير. وفي مدينة الأكواخ يفضّل الجميع أيضاً الفتيات ذوات البشرة الفاتحة لأنه يُقال إنهن اللواتي يعثرن على زوج أفضل.

وأنا ما زلت، في الوقت الراهن، صغيرة وبالتالي يمكنني ارتداء أي شيء، إلا أن الفتيات في حيّنا، بعد سنّ معيّنة،

يتوقّفن عن ارتداء الملابس الغربية، وإلاّ سيهزأ منهن الناس، ويعتقد الفتية أنهن سهلات المنال. وهن يضعن البرقع، بشكل عام، في حوالي الخامسة عشرة. وأعتقد أنني أنا أيضاً سأُجبر على ارتداء واحدٍ لأن والدي يصرّ على ذلك فعلاً. وتقول لي جدّتي طوال الوقت إن على المرأة أو الفتاة أن تغطّي نفسها دائماً. تضع ابنة عمّي روكسار البرقع عندما تخرج من بيتها للذهاب إلى المدرسة أو للقاء صديقاتها. ولا تفعل جميع المسلمات ذلك، فزوجة عمّي، على سبيل المثال، ترتدي ثياباً عادية. بل إنها ترتدي أحياناً الجينز لأن ذلك لا يضايق عمي. ويريدني والدي أن أبدأ في ارتداء البرقع في حوالي الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر. أودّ ذلك، لكنني لم أَرَ ممثلات يغطين رؤوسهن. ولا أستطيع أبداً تكوين رأي في هذا الموضوع: فأحياناً أرغب في وضع البرقع لأرضي والدي، غير أنني أحب كثيراً في الوقت نفسه إظهار ملابسي.

وهناك أمر آخر لا ترضى به عائلتي حقّاً وهو أن أرتدي ملابس ضيّقة على غرار ممثلات السينما اليوم. ومن حسن الحظ أنني أتدبّر أن أنتبه إلى ذلك وأنا أختار أدواري.

أعشق التبرّج، وأظن أن الأمر سيّان لدى جميع الفتيات. ولدي الآن أدوات تبرجي الخاصة، من أحمر شفاه، إلى المسحوق، وطلاء الأظفار، وكنت قبل ذلك أفتّش في أغراض مونّي لأجرب أدواتها. والأمر المفضّل لدي هو الكحل وقلم الكحل، وتعجبني المجوهرات أيضا لكنني لا أملك الكثير منها.

وأخيراً وعدني أبي بأن يشتري لي سلسلة من الذهب الحقيقي وخاتما من الفضة. وأحب كثيراً الأوشام بالحنّة على يدي، وروكسار موهوبة جدّا في هذا المجال: تأتي الجارات لرؤيتها عندما يردن تجميل أنفسهن لإحدى المناسبات الخاصة. وأحلم في أن أضع، في يوم من الأيام، عدسات لاصقة زرقاء مثل عيني الآلهة الأفعى.

ذهب نسيباي محسن وروكسار، منذ بضعة أسابيع، لالتقاط صور لهما في أحد استوديوهات التصوير. يريد محسن إرسالها إلى مختلف المخرجين. غير أن روكسار تحتاجها لأن عليها أن تعطيها لعائلة أحد الفتيان ليتم تدبير زواجهما. وهي ترتدي في هذه الصور سلوار قميز (سروالاً وجلباباً) سميكاً جدّاً وساري مع الكثير من المجوهرات المقلّدة، إضافة إلى تلك العدسات اللاصقة الشهيرة الزرقاء... ومنذ وقت ليس بالطويل أخذتني روكسار إلى احتفال نهاية السنة في مدرستها لأن جميع رفيقاتها أردن اللقاء بي. وبما أنني، إلى حد ما، نجمة المدعوين، رغبت في أن أبدو مختلفة، فارتديت تنورتي الغجرية الجميلة، تلك التي جئت بها من عرض الأزياء في نيودلهي. فمن غير الوارد تفويت فرصة كهذه للتباهي بعض الشيء! كان الاحتفال رائعاً للغاية، وهنأتني الفتيات كلّهن، وحزتُ، خلال السهرة كلها، على الكثير من المديح من المعجبين. رقصت على أنغام أغاني فيلمي، على غرار ما يُطلب مني في كل مكان أذهب إليه. لم يتغيّر فيّ سوى ملابسي وموقف الناس من حولي، لأن حياتي، بخلاف ذلك، لا تزال كما في السابق. يمكن لمدن

الأكواخ أن تكون قاسية، إلا أننا لا نملك ما يمكننا من الانتقال.

لا أعرف أحداً هنا لا تحدوه الرغبة في العيش في شقة حقيقية. والمشكلة هي أن المنازل غالية جدّاً في مومباي. وقال لي والدي أخيراً أنه قرأ في الصحيفة أن مدينتنا غالية أكثر من نيويورك ولندن. وقد وعدنا الكثير من الناس، بعد نجاح الفيلم، بشقة، وهذا كلام فارغ. وقبل حفلة جوائز الأوسكار مباشرة أعلنت شركة إنتاج «فتى الأزقة المليونير» أن العم داني فتح حساباً خاصاً، واحداً لي وآخر لأزهار، وفيه الكثير من المال الذي لا يمكننا قبضه إلا عند بلوغنا الثامنة عشرة، وأعلنت كذلك أنها ستشتري شقة لكل منا. وأخذت رفيقاتي إثر ذلك في السخرية مني:

- إذاً، يا روبينا، أنت التي أصبحت نجمة، ما الذي تستمرّين في فعله في مدينة الأكواخ؟

لكن العم داني وصل للتو إلى مومباي ليشتري لنا منزلاً جديداً، لأزهار ولي. وأنا سعيدة جداً بالرغم من أنني لا أرغب في مغادرة مومباي للانتقال والإقامة في مدينة أخرى. وإذا أردت أن أصبح ممثلة فيجب للأمر أن يحصل هنا، لأن الاختبارات والتصوير تتم كلها تقريباً في مومباي. وقد اتصل الكثير من الناس، بعد ربح الأوسكار، لتهنئتي، وبخاصة أناساً مهمين مثل أعضاء المجلس البلدي. وعدونا بالكثير من الأمور وهم يشكروننا لأننا كنّا فخراً لبلادنا. حتى أن منظمة تضم مجموعة

من الملاّكين في مومباي وافقت على إعطائنا شقتين في المباني البيتونية ولكننا لم نحصل على أي شيء أبداً.

وإذا سُلّمنا مفاتيح شقّة فسأنتقل إليها على الفور. فأنا أحلم بحياة أفضل أبذل فيها جهوداً لتحقيق الكثير من الأمور لأننا لا نفعل في مدينة الأكواخ سوى البقاء أحياء. سأفتقد كثيراً إلى أصدقائي وجدتي وأنسبائي، غير أنه يمكنني الاستمرار في المجيء يومياً لرؤيتهم.

لم تعد مدينة الأكواخ، بعد عودتي من أميركا، مكاناً آمناً. فمنذ بضعة أسابيع سُرق هاتف ابنة عمي، روكشار، المحمول وهي تأخذ قيلولة بعض الظهر: دخل السارق وانتشل الهاتف فيما كان يجري شحنه بالطاقة على مقربة من التلفاز. والهاتف هو هدية عيد ميلادها ومرتفع الثمن ويتضمن آلة للتصوير. يعتقد الناس، مع جميع هؤلاء الصحافيين الذي جاؤوا لرؤيتنا، أننا نملك الكثير من المال، ولهذا تمت السرقة. أما زوجة عمي، التي تمتلك بعض المجوهرات الذهبية، فتفضّل ارتداءها طول الوقت على تركها في إحدى الخزائن. غير أن مثل هذه الهموم لم تكن موجودة من قبل. فالجميع يعرفون ويثقون ببعضهم البعض. ويبدو أن شهرتي صنعت الحسّاد. يتخيّل الناس أنه لا بد أن نجمة مثلي تخبئ أشياء ثمينة عندها. وأنا لا أريد أن تُسرق حاجياتي القليلة.

أصبح العيش هنا قاسياً بعد رؤية أميركا ومنازلها الجميلة، وشوارعها النظيفة جداً الخالية من أي ورقة وسخة على الأرض،

وغرف فنادقها البالغة النظافة. لا أريد شيئاً على هذه الدرجة من الرفاه التي هناك، بل مجرّد شيء أفضل بقليل من مدينة الأكواخ مع بعض الترتيبات البسيطة، وجدران من الباطون، ونوافذ، ومكان لتوضيب حاجياتي، ومراحيض حقيقية، وصنبور مياه للشرب وسرير للنوم.

أخذتُ أكره كلّ شيء هنا: العراكات، والناس الذين يتبادلون الشتائم بأعلى أصواتهم، والفتية الذين لا يدعون الفتيات وشأنهن. وأشاهد أحياناً رجالاً يضربون نساءهم ويسيئون معاملتهن. وهذا عذاب كبير لهن.

كذلك فإن القمامة، والمياه الآسنة، والحشرات، كلها كريهة حقّاً. ويوجد الكثير جداً من الصراصير، وبعضها من النوع الذي يطير... ويسقط البعض منها في طعامنا. ولا نرمي أبدا من صحوننا سوى الصراصير التي تسقط فيها. فالحصول على وجبتي طعام حقيقيتين في اليوم أمر عظيم في مدينة الأكواخ، وبالتالي لا يمكننا السماح لأنفسنا برمي شيء. نرشّ أحياناً مبيداً للحشرات في المنزل، فتصدر عنه رائحة كريهة على مدى يومين أو ثلاثة. لكن الأسوأ من ذلك كلّه هو الجرذان: إنها ترعبني. يوجد الكثير من المجارير والوسخ والمياه الآسنة بحيث تتمكن الجرذان من العيش بسهولة في المكان. ويا لسرعة تكاثرها! والأكثر خطورة من بينها هي الأكبر حجماً، ومنها ما هو بحجم الأرنب، والأخطر من ذلك هو أنها لا تخاف منّا إذ نجدها في الأسرّة وعلى الرفوف وفي المطبخ. أشعر بأنني

متّسخة كلّياً لمجرّد رؤيتها، وأنا أرى الكثير منها في اليوم الواحد.

منذ وقت ليس بالطويل تسلّق جرذ على بطة ساقي وأنا جالسة عند عتبة الباب، أمام منزلي. صحت وأخذت أرتجف، ودفعته مونّي بالممسحة، إلا أنني أشعر بالخوف لمجرّد التفكير في ذلك.

ثم هناك مشكلة البعوض في مدينة الأكواخ، ولا يعرف أحد ما العمل. وعلينا، كي لا نتعرّض للعقص، أن ننام ليلاً ومن فوقنا ناموسية، أو نتغطى بالشرشف حتى عندما يكون الطقس حاراً جداً.

وفي كل عام يموت أولاد من رفاقي بالملاريا في مدينة الأكواخ. وقد أصيب بها والدي أيضاً منذ بضع سنوات. ولم يعد في وسعه حتى النهوض من سريره بسبب الحمّى، واستمر الأمر أياماً وأياماً كان يرتجف فيها طوال الوقت. والأمراض كثيرة في مدينة الأكواخ. وإذا أمكن الذهاب لرؤية طبيب حقيقي، وليس طبيباً دجّالاً، يُشفى المرء بسرعة. وإذا لم يُصب المرء بالملاريا يُصاب بالتيفوئيد. وأصيب عمّي بالاثنين خلال ستة أشهر: وقد أصيب بالتيفوئيد مباشرة قبل ذهابنا إلى أميركا. أما أنا، فقد رافقني الحظ حتى الآن، ولم أُصب أبداً بأي منهما. ولما كنت في الخامسة أو السادسة أصبت بمرض خطير. أعتقد أنني شربت مياهاً ملوّثة وأخذ بطني بالانتفاخ. لا أدري ماذا يُدعى هذا المرض، لكنه يقتل الناس. واضطروا إلى إجراء

عملية جراحية لاستخراج كل الماء مني. وفي ما عدا ذلك لم أُصَب بأي أمر خطير، سوى أنني في كل عام أُصاب بنزلة بردية خلال أشهر الرياح الموسمية.

تتوقف الحياة في مومباي كلّها خلال الرياح الموسمية. إذ تمطر أحياناً على مدى أيام وأيام من دون توقّف، إلى درجة أن خطوط السكة الحديد تمتلئ بالمياه. إلا أن الوضع أكثر سوءاً في مدن الأكواخ حيث لا يوجد نظام حقيقي لتصريف المياه. فمنذ بضع سنوات في أحد الأحياء الأخرى، انهارت الأكواخ المبنية على إحدى التلال خلال رياح موسمية أليمة وأدت إلى مقتل الكثير من الناس. ترتفع المياه في حيّنا، خلال موسم المطر، لتصل إلى الركب. وينتشر الذباب في كل مكان، ويمرض الناس. وتظل الشراشف رطبة والرائحة الكريهة تعم المنزل. وغالباً ما يتم قطع الكهرباء لفترة طويلة. ويصبح السير في الشوارع خلال ذلك الفصل خطراً لأن المرء يمكن أن يسقط في حفرة أو مجرور، ويتعرّض لأذى شديد أو كسر خطير ويحاول بعض الأشخاص جمع مياه الشتاء لشدّة صعوبة الحصول على المياه الجارية، لأن الصنابير تكون قد أصبحت تحت الماء أو تعطّلت. بل علينا قبل ذلك التموّن بالمواد الغذائية لأن كل شيء يرتفع ثمنه خلال تلك الفترة. ويكاد لا يوجد متجر مفتوح، الأمر الذي من شأنه تعقيد الحياة على جميع الناس. ويحدوني الأمل، في كل سنة، في التخلص من الرياح الموسمية في مدينة الأكواخ. والأدهى من ذلك هو أن الاقتراب من منطقة المراحيض في ذلك الوقت يصبح لا يُطاق.

سواء مع المطر أو من دونه، تبقى مراحيض الحي دوماً في حالة سيئة جداً مع العدد الكبير من الناس الذين يستخدمونها. . . وهي كناية عن مبنى صغير من الإسمنت فيه ثلاثة مراحيض من دون أبواب. ويتعلّق الأمر بثقوب بسيطة في الأرض مع دعستين من حولها لوضع الرجلين. ويجب على المرء أن يأتي بدلو مائه للتنظيف. ويُفترض بأجهزة البلدية أن تفرغها من وقت لآخر، لكن لا أحد يفعل ذلك أبداً. الرائحة نتنة. ثم إننا لا نرى شيئاً لعدم وجود الكهرباء. وأنا، على غرار جميع الأولاد، أفضّل لو أنه يمكنني قضاء حاجتي في الخارج على مقربة من السكة الحديد، بيد أنني كبرت جدّاً الآن على إظهار مؤخرتي للجميع. ومع ذلك أخرج في بعض الليالي إلى مقربة من السكة الحديد لأبوّل. وأنا، منذ عودتي من أميركا، أذهب إلى المراحيض التي تقع على مسافة عشر دقائق سيراً من منزلي. وهي تكلّفني روبيتين، ولكنها نظيفة. ولو أننا نمتلك شقة خاصة بنا، فلن أعود في حاجة إلى السير للذهاب إلى المرحاض.

في الأسبوع الماضي، هدمت السلطات منزل أزهار. ويبدو أنه تعرّض للضرب وقُتلَ ميغا (ديكُ) القتال خاصته. أعلم أنه لم يتم إخطار عائلته، وإنما جاؤوا وحسب لهدم الكوخ الصغير. آلمني أمره كثيراً، غير أنني سُعدت في الوقت نفسه لأن ذلك لم يحصل لي أو لعائلتي. إلا أن السعادة بوجود سقف فوق رأسي لم تدم طويلاً. ففي صباح أحد الأيام جاء أناس من مكتب السكة الحديد ودمّروا عالمي الصغير من دون تردّد. سمعت، لمّا استيقظت، صراخات، فخرجت ورأيت جيراني يتشاجرون

مع الشرطة. لم يستمع رجال الشرطة إلى أحد وهدموا ما يقارب الأربعين كوخاً، من ضمنها كوخنا. لم يخطرنا أحد بأنه يتم طردنا وبأن علينا الانتقال. حتى أن عمي وزوجته كانا قد خرجا للتبضّع عندما حصل الأمر. اشتبك والدي مع رجال الشرطة الذين يراقبون عملية الهدم وجُرح. وأنا غاضبة جداً على الجميع. فهم لم يفكروا قبل أن يخربوا بيتنا، إلى أين سنذهب الآن؟

يمكنهم في النهاية أن يدمّروا مدينة الأكواخ لأنني لم أفقد الأمل في الذهاب إلى مكان آخر، إلى مكان كل شيء فيه أكبر حجماً وأكثر جمالاً.

١٢

جاي هو! (هلّلويا!)

علّمَتْنا الأشهر الستة الأخيرة، والدي وأنا، أشياء كثيرة. وأعتقد أننا لن نثق بعد الآن ثقة عمياء بالناس.

السينما شغفي، وأريد أن أصبح ممثلة كبيرة، وإلا رائدة فضاء، وهذا أكثر تعقيداً، بالطبع. لكنني أعرف أن كلّ شيء ممكن بالعمل الدؤوب. ثم إنني أود أن أذهب في يوم من الأيام إلى الجامعة في أميركا، إذا وافق والدي. أعتقد أنني أكثر طموحاً من قبل. وأود كثيراً ان أتلقى دروساً خصوصية في اللغة الإنكليزية لأحقّق تقدّماً.

تلقّيت، في نهاية شهر آذار/مارس من هذه السنة، عرضاً جديداً يطلب منّي وضع حياتي الفتيّة على الورق ليتعرّف عليّ الناس أكثر. جاء ناشر فرنسي إلى هنا في مدينة الأكواخ وأمضى معنا عدّة أيام! وسعدت جداً لفكرة تمكنّي من أن أظهر للجميع حقيقة من أنا. غير أن والدي لم يعرف كيف يفكّر بالأمر واستغرق وقتاً طويلاً ليتّخذ قراره. وفي النهاية وقّعنا على عقد -

عقد حقيقي مع دفعة مسبقة وحقوق المؤلف - وقد سُرّ لأن كل شيء تم حسب الأصول. لم أجد صعوبة كبيرة في الحديث عن نفسي وعن مغامراتي. فقد اعتقد الجميع، بسبب ظروف معيشتي، أنه مخوّل إخبار أي شيء عن عائلتي وعنّي. وقلت عندها في نفسي أن هذا الكتاب هو الوسيلة الفضلى لإظهار الحقيقة. أنا لا أعرف شيئا عن العالم الخارجي. وبما أن العالم الخارجي لا يعرف شيئاً عن حياتي اليومية، فإن هذا الكتاب يشكّل فرصة جيّدة لأظهر لهم روبينا علي على حقيقتها.

وأردت لهذا السبب على الأخص وضع هذا الكتاب. وأنا مسرورة للغاية لأنه يتحدّث عنّي وحسب. وبفضل المال الذي سأجنيه منه، سأتلقى دروساً في الرقص والغناء وحتى دروساً مع أستاذ للفن الدرامي يعلّمني كل ما تحتاج الممثلة إلى معرفته. أعرف أن والدي لا يملك الكثير من المال، غير أنني كوفئت جيّداً في النهاية على عملي، وسأتمكن من أن أقدّم لنفسي حياة أفضل. وسأذهب بعد ذلك إلى أوروبا لإطلاق الكتاب والتسويق له. وأنا متشوّقة جداً لرؤية هذا البرج الفرنسي الغريب الذي يُدعى برج إيفل ولألتقي من جديد الأصدقاء الذين تعرّفت إليهم وأنا أعمل على قصتي. وآمل بصدق أن يكون الطعام أفضل في باريس منه في أميركا. تنبّهي إذاً يا باريس، فأنا آتية إليك... وسأسعد أيضا برؤية لندن وكل المدن الأوروبية الكبرى.

أشعر وكأن حياتي بدأت للتو، وبأنني سأواجه الكثير من الطلعات والنزلات.

آمل في أن أتمكن قريباً من مغادرة مدينة الأكواخي لأعيش حياة طبيعية مثل جميع هؤلاء الناس الذين التقيتهم. وأنا أحلم الآن بالذهاب إلى ما هو أبعد من السابق، وأعتقد أنه لن يتمكن أحد أن يمنعني من محاولة الحصول على القمر. تلك أنا، روبينا علي.

جاي هو!

مومباي، أيار/مايو ٢٠٠٩.

القصة الحقيقية لفتاة هندية فقيرة لم تبلغ العاشرة، تعيش في مومباي وهي مدينة بيوتها أكواخ وشوارعها أزقة ضيقة. تختارها مصادفات القدر من بين ٥٠٠ طفلة لتمثل في أحد الأفلام العالمية فتحصد نجاحاً باهراً. وينال الفيلم جائزة الأوسكار. تسافر إلى هوليوود لحضور المهرجان وتسلّم الجائزة وتحلّ نزيلة على أفخم الفنادق، حيث يفاجئها كل شيء. تتأجج أحاسيسها ويسيطر عليها حلم الشهرة الواسعة وحياة المشاهير لتعود بعد أيام إلى مدينتها نجمة ثرية يتهافت المئات لملاقاتها من سكان وأقرباء ومصوّرين وصحفيين. ويفرض رجال الأمن طوقاً لحمايتها. تعود بشوق إلى أهلها وناسها، لتعيش صراعاً صعباً بين حلم أخّاذ عاشته فعلاً وبين واقع مرير وأزقة تبعث على الكآبة والإحباط، وتخلّف يسرق كل شيء. قصة فيلم أدهش العالم، وقصة بطلته، وعفوية ما تفكّر فيه هذه الطفلة التي أصبحت ثرية ومشهورة بين ليلة وضحاها، وما يراودها من مشاعر حيال مستقبلها وحيال أهلها: أبيها الذي حاول بيعها يوماً، وأمّها التي تخلّت عنها طفلة!

ISBN 978-9953-88-311-3

شارع جان دارك - بناية الوهاد
ص.ب: ٨٣٧٥ - بيروت - لبنان
تلفون: ٧٥٠٨٧٢ - ٠٠٩٦١١٣٥٠٧٢٢+
تلفون+فاكس: ٣٤١٩٠٧ - ٠٠٩٦١١٧٥٢٥٤٧+
books@all-prints.com
.all-prints.com